الدكتور فايز الداية

# فاضل خلف

## هاجس الريادة والحقول المفتوحة



رابطة الأدباء في الكويت
سلسلة كتاب الرابطة
(١٩)

الدكتور فايز الداية

# فاضل خلف

## هاجس الريادة والحقول المفتوحة

رابطة الأدباء بالكويت
٢٠٠١

الكتاب:

# فاضل خلف

# هاجس الريادة والحقول المفتوحة

الطبعة الأولى
سبتمبر ٢٠٠١

الناشر: رابطة الأدباء في الكويت

بريدياً: ص.ب: ٣٤٠٤٣ العديلية ـ الرمز البريدي 73251 الكويت
P.O.Box:34043 Odailia _ 73251 Kuwait

Fax:2510603 فاكس: ٢٥١٠٦٠٣
Tel:2518282 هاتف: ٢٥١٨٢٨٢

تصميم الغلاف: فاطمة الشخص

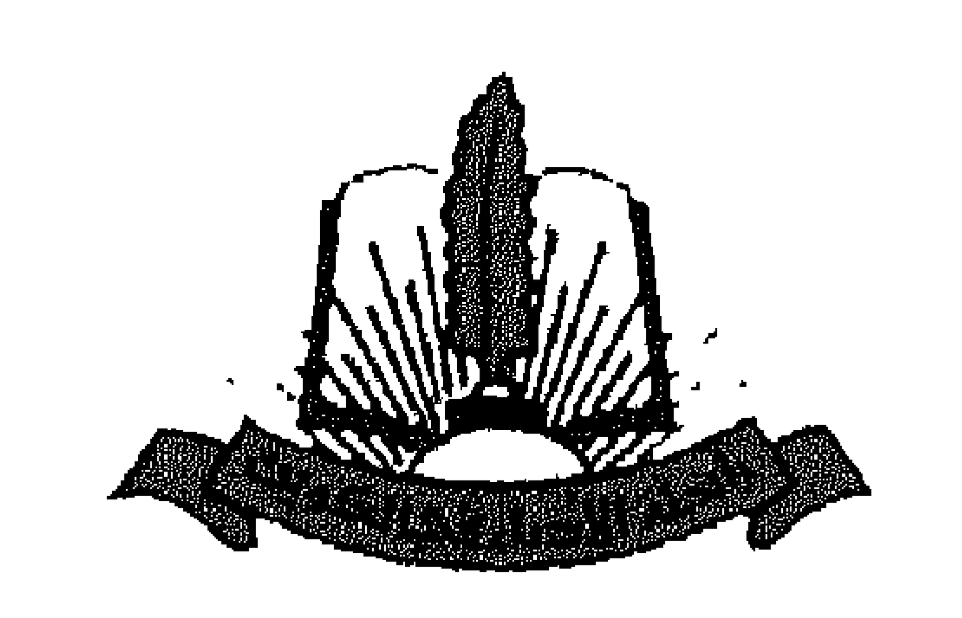
# سلسلة كتاب الرابطة
# (١٩)

إشــراف

سليمان الخليفي　　د. سالم عباس خداده

طبع هذا الكتاب بدعم من :
مـؤسـسـة الـكـويـت لـلـتـقـدم الـعـلـمـي

الطبعة الأولى
سبتمبر 2001 م



"من أجل أن تكتمل القلادة"

وساما نزين به صدورنا، عدنا إلى الذين أودعناهم بين يدي الله، وإلى الذين يعدّون من كبار أدباء الرابطة، وجميعهم أعضاء مؤسسون أثروا الحركة الإبداعية والأدبية في الكويت، بكتب تعريفية نضعها بين يدي الجيل الفتي، ومن لهم اهتمام بمعرفة الرواد، وذلك بمناسبة اختيار الكويت عاصمة للثقافة العربية.

# كلمة أولى

هذه أوراق تمهد لدرس نقدي يتناول الأديب فاضل خلف في أعماله الإبداعية التي جالت في جوانب مختلفة بين القصة والشعر الغنائي والخاطرة الغنائية، وكذلك فيما دوّنه من أدب الرحلات والسيرة الذاتية، وفيما صنّفه من دراسات أدبية في الصحف والمجلات والكتب التي أدارها على ملامح شخصيات أدبية عربية وكويتية .

ولعل التوجه إلى إسهام في تاريخ الأدب الكويتي المعاصر هو المسوّغ لمشاركتي في مشروع كتاب رابطة الأدباء بالكويت، فالزمن القصير لا يسعف في إنجاز دراسات نقدية لها طابع الشمول والتفصيل، إضافة إلى ما نراه من تنوّع نتاج الأديب فاضل خلف عبر حقبة متطاولة؛ فهو بدأ الكتابة منذ أواخر الأربعينات، ولايزال حضوره يطالعنا في نهاية الألفية الثانية .

وقد أثار السعي وراء مصنفات هذا الأديب في المكتبات ولدى الأدباء في الكويت شجوناً، فالدارس أو الناقد يعسر عليه في أوقات كثيرة الحصول على الدواوين والقصص والمسرحيات المعاصرة في عواصمنا العربية وجامعاتها ودور الكتب فيها، وأعني بهذا المجموعات الكاملة في طبعاتها القديمة، فأنت ترى عملين أو ثلاثة ثم تفتقد ديوانا أو أكثر، ولا تعرف طريقا إلى المجموعة القصصية الأولى، أو مسرحية طبعت في بلد عربي، أو نشرت في دورية من الدوريات، وهكذا تتقطع السبل بالناقد فيتحيّر بين الإقدام على دراسة ناقصة المادة الجوهرية للأديب والتريث وتأجيل تناول هذه الشخصية، أو تلك القضية الأدبية، ولن تستفيد الساحة الأدبية في الحالتين .

لقد بتنا نقنع أن يكون لكل قطر عربي مرجعية مكتبية تهتم وتحصي كتب الأدباء فيه، تغدو موئلا للباحثين في أرجاء الوطن العربي الكبير يطلبون منها العون إذا ما ضاقت بهم السبل، وربما تتضافر بعد ذلك الجهود الحاسوبية الحديثة لتجمع بين تلك المراكز فيما يغدو - بعين الحلم ! ! - سلاً فيه نصوص الأدب الحديث والمعاصر، وفي غمرة المصطلحات أقترح تسمية هذا العمل (بالتراث القريب أو المعاصر) فقد يصيبه شيء من الاهتمام .

تبدو خطة رابطة الأدباء في تصنيف كتب التعريف بالشعراء والكتاب أقرب

إلى تصور تأريخ أدبي أولي مستفيد من تجارب القدماء والمحدثين ، فمنذ قدّم ابن سلام (طبقات فحول الشعراء) وابن قتيبة (الشعر والشعراء) كنا نرى ترجمات متفاوتة في استيفائها للشخصية ، واختيارات شعر تشير ولا تستوفي ، ونظرات للنقاد تلمح إلى خصائص ولكنها تظل لمعات متفرقة ، ولعل تجربة خالد سعود الزيد في كتابة (أدباء الكويت في قرنين) هي الأكثر استفاضة في عرض نماذج من الشعر والقصة والمسرحية والمقالات إضافة إلى ترجمات مفيدة .

إن كتاب الرابطة التعريفي يهتم برسم سيرة الأديب على نحو لا تترك فجوات يتعب السائل عنها ممن تبعد داره ولا تعينه كتبه ودورياته ، والجانب الآخر هو عرض أعمال الأديب عرضا إحصائياً يستقصي ويبيّن الأجزاء والملامح بحياد علمي ، ولئن أضيفت نظرات نقدية لقد تكون تالية ولا تحجر على دارس آت وهنا نقصد مؤلف هذا الكتاب من كتب الرابطة ، وكذلك ما يورد من آراءً سبقت لنقاد ودارسين تناولوا بعضاً من أعمال الأديب وأبدوا تقويما لها يحدد قسمات لها وموقعا على خريطة الإبداع في الكويت أو في الوطن الكبير ، وأخيرا يأتي دور المختارات الشعرية أو النثرية ، وقد منحت مساحة تفسح لعدد من أصوات الأديب الظهور أمام القارئ .

إن جهدا يبذل في خطة كهذه سوف يقدم إضاءات لشخصية الأديب وأعماله تشرع بعدها أقلام الباحثين والنقاد لتسطّر البحث النقدي ، وبهذا نتقدم نحو تفاعل أدبي ومعايشة عميقة لدى القراء ، ثم تتجلى سمات تاريخ الأدب في تدوين يفيد من تحاور الآراء ومناقشاتها فتخرج من الجزئية إلى رصيد قيمي يضاف إلى هذا الجانب من صرح الأدب في الحقبة المعاصرة .

**فايز الداية**

**الكويت/ السالمية ٢٠٠١**

# السيرة والتكوين
# هاجس الريادة والحقول المفتوحة

شهدت الكويت أواخر الأربعينات من القرن العشرين رغبة عارمة عند جيل الشباب للإفادة من الكلمة سلاحاً في معركة التطوير والتغيير ، فهم طليعة منحهم مجتمعهم فرصة التعلم وبث في نفوسهم الثقة ، فانتشروا يكتبون في ألوان الإبداع شعراً وقصة ومسرحية ومقالات تغوص في التراث مثلما تبحث في نهضة الأسرة وطرائق الإنتاج والعمل ، وكان الواحد من هؤلاء يجمع في قبضته أزمّة متعددة ويسلك السبل المختلفة على سطور الصحف والمجلاّت في الكويت والقاهرة وبيروت والبصرة ، ورأيناهم ينشئون بعضاً من تلك المجلات حماسة وتلهفاً لتكوين أرض تستقبل نتاجهم المنتمي إلى المستقبل ، ولم تكن مشاريع صحفية أو ثقافية بروح المؤسسة ؛ لذلك لم تصمد طويلاً وبقيت الرغبة في صنع الغد وتلمس مسالك جديدة (مجلة البعثة ، وكاظمة ، والرائد ، وتجديد مجلة الكويت . . .) ، وتطالعنا أسماء أحمد العدواني وعبد العزيز حسين وفهد الدويري وجاسم القطامي وفاضل خلف وحمد الرجيب وعبد الرزاق حسين[1] .

ومع انتصاف الخمسينات تفرقت الدروب وعرف كل من هؤلاء مضماراً يسهم من خلاله في بناء الحياة الجديدة سواء في التربية والثقافة والإعلام كما رأينا عند العدواني والرجيب ، أو الإدارة عند فهد الدويري ، أو الشرطة مع جاسم القطامي ثم في تفرغه للعمل السياسي في مجلس الأمة نائباً ، وهناك من جمع الإدارة في التربية والسفارة والوزارة مثل عبد العزيز حسين ، ومن خاض في عمل تطبيقي كالطب مثل عبد الرزاق حسين ، وهكذا شغلت المهام التي تصدوا لها بجدارة ما كانوا فيه من استثمار الكلمة في آفاق متعددة فترك بعض الكتابة أو آثر أن يفرغ لواحد من ألوانها يعاوده حيناً بعد حين ، أما فاضل خلف فهو الوحيد الذي ثابر على الكتابة وظلت الريادة هاجساً لا يغادره عقوداً تتوالى حتى أيامنا هذه في مطلع الألفية الثالثة ، ولا يخطئ من يتأمل هذه الشخصية أو الكائن الثقافي أن يرى ملامح مميزة له :

١ ـ التنوع الإبداعي والاستمرار في رحلة العطاء فهو كتب القصة ونشر مجموعته (أحلام الشباب ١٩٥٥) ونشر قصائد شعرية اكتمل له بناؤها متزامنة

مع القصة ثم كان التدفق عندما أقام في تونس فتتابعت دواينه (على ضفاف مجردة ١٩٧٣) و(٢٥ فبراير ١٩٨١) و(كاظمة وأخواتها ١٩٩٥) ونراه يعود إلى القصة في الثمانينات (أصابع العروس (١٩٨٩) وكانت المقالات الأدبية تطالع وتعرض وتنقد أعمال الشعراء والأدباء في الكويت وأقطار العروبة وظهرت عناية لا تفتر فقد شهدت العقود المتوالية أحاديث يلقيها ومقالات تجمع في كتب يشكل بعضها مادة سيرة ذاتية تضم ملامح الوطن وأطوار الحياة والثقافة (سياحات فكرية ١٩٧٧) و(ذكريات نقعة ابن خميس ١٩٨٧) و(أزهار الخير ١٩٨٧) و(أصوات وأصداء ١٩٨٣) و(قراطيس مبعثرة ١٩٨٥) .

ولم يكتف فاضل خلف بتلك البحوث والخواطر وإنما جنح إلى تصنيف الكتب التي تتسع لمدى أكثر رحابة في التحليل والمناقشة للمواقف الأدبية والسمات الأسلوبية . وكان بدأ طريقه مع كتاب (زكي مبارك ١٩٥٧) ، ونقرأ له (فرحان راشد الفرحان والقصة القصيرة ١٩٩١) و(سعاد الصباح الشعر والشاعرة ١٩٩٢) و(عبد الله سنان مغني الشعب ٢٠٠٠) .

ويمتد سعي هذا الأديب إلى حقل التجريب فعلى الرغم من أنه صاغ شعره وفق البحور الكلاسيكية ، ولم يخض تجربة شعر التفعيلة في دواوينه الثلاثة لقد حاول الإسهام في النثرية العربية الجديدة التي زج المحدثون نصوصها في إطار الشعر ، وقدم عددا من الخواطر في كتاب أسماه (الضباب والوجه اللبناني ١٩٨٩) .

٢ ـ المعاصرة المتجددة فقد ظل فاضل خلف حريصاً على تصوير الواقع الذي يراه حوله في الأربعينات والخمسينات سواء في حركة المجتمع وقضاياه أو في مسار الأدب والفكر والفنون ويتجلّى هذا الحرص في الأعمال الإبداعية قصصاً وقصائد وفي البحوث والمقالات ، ونلحظ على سبيل المثال تتابع أجيال مبدعي الكويت لديه من أمثال خالد الفرج وصقر الشبيب وفهد العسكر وعبد الله الصانع إلى أمثال عبد الله العتيبي وسليمان الشطي ويحيى الربيعان وليلى العثمان وليلى محمد صالح وجنة القريني[٢] . .

وعندما نتأمل صفحات من دراساته نشعر بمتابعة للنظريات النقدية ومحاولة

تطبيقها في عمله النقدي ، ونلمح ظلال المراجع والدوريات الحديثة كما في كتبه (فرحان راشد الفرحان) و(سعاد الصباح) فهو يعايش الحركة الثقافية ويزاوج بين أدواته وما جدّ على الساحة من مناهج وطرق واتجاهات للنقد ، وكانت له جولاته التراثية وجهود في تأصيل نهوض الكويت في العصر الحديث ومعالم النقلة النفطية وتداعياتها مقرونة بالماضي القريب .

٣ـ الاتصال الإعلامي الجماهيري : إن إحساس فاضل خلف بضرورة اختراق الحواجز الفاصلة بين الأهل وصور الحضارة الحديثة المتسارعة جعله يتلمس السبل القادرةعلى التوصيل : الصحيفة والمجلة والكتاب والإذاعة ، إضافة إلى المحاضرات يلقيها في الكويت ومدن عربية ، وتتأكد رغبة لقاء الجمهور وبث المادة الثقافية عندما يسارع إلى جمع ما لديه من قصص ويكون أول من يطبع مجموعة قصصية في الكويت ١٩٥٥ ، وكذلك هو أول من طبع مجموعة مقالات ١٩٥٦ ، وهو أول من قدم كتاباً حول شخصية زكي مبارك وأدبه ١٩٥٧ في الوطن العربي ، ونراه يكتب في الصحافة ويشارك في التحرير والإشراف في رحلته الطويلة فقد أسهم مع عبد الله الصانع في تحرير مجلة (كاظمة) التي أدارها أحمد السقاف وعبد الحميد الصانع ١٩٤٨ ومجلة (الكويت) التي أعاد إصدارها يعقوب عبد العزيز الرشيد في مطلع الخمسينات ١٩٥٠ ، ونرى فاضل خلف يحرر الصفحة الثقافية في مجلة (النهضة) وصحيفة (الوطن) بعد عودته من تونس أواخر السبعينات ، وكذلك يكتب في صحيفة الرأي العام في الثمانينات[٣] .

ولبّى دعوة الإذاعة الكويتية فألقى أحاديث أدبية وفكرية وسرد كثيرا من ذكرياته التي تشكل سيرة له مع البحر وتحولت هذه الأحاديث كتاباً (ذكريات نقعة ابن خميس) أو دخلت في تضاعيف كتب أخرى .

وكان فاضل خلف يهتم بتطويع المادة الثقافية والأدبية لتلائم شرائح المستمعين وتظل على قدر من الجد والطرافة والجاذبية مما يؤكد إيمانه بفاعلية هذه الوسائط الإعلامية ، ويشعر أنه يكمّل حضوره بهذا الانتشار والانتقال إلى الجمهور العريض ، فالتحدي قائم سواء عندما كان الناس يفتقدون التعليم الواسع والمادة

الثقافية أو في زمن التطور والانفتاح على معطيات الحضارة الحديثة ، ولا بد في الحالتين من الإقدام على المبادرة والإلحاح على الوسائل المعرفية والفكرية والأدبية والفنية تتوجه إلى الناس فعامتهم يرهقهم النمط المادي الاستهلاكي مثلما أرقهم قديماً افتقاد السبل إلى المعرفة .

## التكوين والجذور

### ١ ـ توهج ومصير :

اقترنت حياة فاضل خلف في مراحلها كلها بالكلمة والكتاب ، وطبعت خطواته بظلال الإبداع والدرس ، فلم تشغله مكاسب يجنيها من تجارة أو مناصب ولم يدفع بمناكبه الآخرين وإنما عرفه الناس شخصية ثقافية ، وهو يوقن بأن قدره التمع في بدء الطريق وتلاقى هذا النور مع نزوع ذاتي في أعماقه ، ويبدو لنا أن هذه حقيقة تتفاعل وتعطي ثمارها إذا تآزرت معها وقائع من حول الأديب أو صاحب الثقافة في أسرته ومحيطه الاجتماعي وهنا حالة تفتحت لها الأبواب في بلد عزم على النهوض قبل انبثاق النفط في تصميم على ترسيخ مؤسسات تعليمية وبناء أجيال تحسن تداول معطيات الحضارة الحديثة ومعارفها ، وزادت القدرات المالية بعد النفط قوة الاندفاع فأيقظت الطموح لدى الشباب ، وسنقرأ كلمات فاضل خلف :

«إنها لحظة من لحظات الحياة أومضت في وجداني فكان لها صدى رنان وتجاوب مبين ، إنها لحظة كان لها بعد ذلك أن تتحكم في وجودي بأكمله على ظهر هذه الأرض ، فهل كانت تلك اللحظة عندما اعترضت طريقي في صالحي؟ أو كانت تقف فيها موقف العدو المبين؟ . . كنت معها على ميعاد ، يوم أن وقعت عيناي على خزانة صغيرة في بيتنا ، فيها كتب أقدّرها اليوم بأكثر من خمسين كتاباً وأقل من مئة ، وكنت عندها بين الخامسة والسابعة من العمر ، ولا أزعم أني لم أرها قبل ذلك بل كنت أراها منذ أن رزقت القدرة على الرؤية ،

ولكني لم أهتم بها ؛ لأنها كانت في نظري لا تزيد عن قطعة من أثاث المنزل كالبساط والحصير والمرآة والسرير ، ولكني عندما ذهبت إلى المدرسة وتعلمت القراءة عرفت ماذا تعني ، وإن لم أعرف ماذا تحتويه في طياتها ، بل كنت أعتقد أنها مصاحف عديدة ، وخاصة ما كان منها مجلدا»[٤] . .

ولد فاضل خلف حسين التيلجي في حي ابن خميس في منطقة شرق بالكويت في عام ١٩٢٧ لأسرة مكافحة ، وكان محظوظاً إذ أتيحت له دراسة مبكرة في النظام التعليمي الحديث فدخل المدرسة وهو في الخامسة ليمضي سنتين يتعلم القرآن ثم يبدأ في السابعة المرحلة النظامية ، ورأينا الكتب تحيط به في دار الأهل تصاحب أنفاسه الغضة ، وعلى الرغم من انشغال الأب في أعمال ووظائف تعددت وتباعدت ديارها أحياناً فقد أحاطت الرعاية هذا الفتى فظلت الشرارة حية ، ونلمح دوراً للأم من خلال المواقف الدالة ، فهو يحدثنا عن منهل للمعرفة أفاد منه وهو (الحسينية) :

«فمن الحسينية وعلى مدى بضع سنوات اطلعت اطلاعاً غنياً على سيرة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، وعلى سير خلفائه الراشدين رضي الله عنهم ، وعلى تاريخ الدولة الأموية وتاريخ الدولة العباسية ، ولا أذيع سراً إذا قلت إنني لم أتعلم حرفاً واحداً من التاريخ فوق ما تعلمته من الحسينية»[٥] .

وتأتي اللمحة المدهشة عندما نتأمل هذا الفتى يطلب ويلحّ ولكن ليس ما يطلبه شيئاً مما يستأثر بنفوس أمثاله من الألعاب أو ما يستطاب من طعام أو لباس وكذلك تأتي استجابة الأم لتعمق صواب المسار العلمي والثقافي الذي أبصره ابنها :

«وبلغ من تعلقي بالحسينية أنني كنت لا أتخلف عن مجالسها ـ وعلى مدى شهرين في كل سنة ـ إلا في حالة شدة المرض ، وما زلت أذكر تلك الليلة الباردة المظلمة ، والسماء تبرق وترعد وترسل الغيث مدراراً ، وكانت الطرقات موحلة الجنبات ، وليس في السكك إلاّ الوحشة فأرغمت المرحومة الوالدة على الخروج من دفء المنزل إلى برودة الطريق لكي ترافقني إلى الحسينية ، وكنت لم أتجاوز العاشرة بعد ولم يكن في الحسينية ليلتئذ سوى عدد قليل من الرواد الذين لم

يقعدهم عن المجيء . . المطر المنهمر ولا البرد القارس ولا الظلام الموحش»[٦] .

إن هذه الأم ـ وهي الحريصة على ما تتدبر به العيش مع أبنائها في غيبة والدهم بعيداً في سعيه وراء الرزق بعبادان على الضفة الأخرى للخليج العربي ـ تقدّر نزوع ابنها إلى المعرفة وتعينه على بلوغ مراده وإن اقتضى الأمر بعضاً من الحوار وموازنة الاحتياجات :

«وما شعرت إلا وأنا واقف أمام مخزن (الكتاب المقدّس) لأسأل عن ثمن قاموس الجيب تأليف إلياس أنطون إلياس ، وبعد أخذ وردّ ومساومة رسا الثمن على روبية واحدة ، ولكن هل كانت في جيبي هذه الروبية؟ وهل رأيتم من يساوم على بضاعة وهو لا يملك الثمن؟ ولكن هذا هو ما حدث لي ووعدت صاحب المكتبة وهو السيد يعقوب شماس بالرجوع إليه عصر ذلك اليوم ، ورجعت فعلا بعد أن أقنعت الوالدة باقتطاع المبلغ من مصروف البيت ، ورجعت وفي يدي قاموس صغير كان مفتاحي في حلّ رموز الاستطلاع الذي نشرته المجلة الإنكليزية المصوّرة»[٧] .

وظلت علاقة فاضل خلف بالكتابة مصيرية !! لأنها تتساوى مع ضرورات العيش ، وكما اقتطعت أمه من نفقات البيت ما أتاح اقتناء معجم الجيب نراه بعد سنوات طويلة يسلك مسلكها ، ومن الحكاية نعرف أنه ما كان ينعم بوفرة النقود وإنما هي الكفايةوكل تصريف له حسابه فبعد جولة في أسواق كمبردج بحثاً عما يدفئ جسمه يعود إلى المنزل «واستغربت أم البنين من رجوعي المفاجئ وسألتني : هل اشتريت اللفافة؟ قلت : لا . فقالت لماذا؟ قلت : لقد غيرت رأيي ، فالشتاء لم يقتحم الديار بعد ، وإنما أنا بحاجة إلى هذا الكتاب أكثر من احتياجي إلى قطعة صوف ألفّ بها رقبتي ؛ لذلك فقد اشتريته على أن أؤجل شراء اللفافة إلى وقت مناسب آخر فخذي هذين الجنيهين ـ الباقيين من الخمسة التي كانت في جيبي ـ لعلك تستطيعين إضافة جنيه ثالث لهما تدخرينه من مصروف البيت ليكون المبلغ كافياً لشراء تلك اللفافة ، ولم يكن ذلك الكتاب أيها الإخوة الأعزاء إلا ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإنكليزية بقلم الأديب الهندي مولانا عبد الله يوسف»[٨] .

ثمة موقف درامي مع الكتاب يحدثنا عنه فاضل خلف بعد عودته ونتأمل الموازنة المؤلمة بين حبين لم يكن له خيار حقيقي وإنما هي الواقعية القاسية تجعله مكتفياً بالحلم ، ونتساءل هل حتم عليه أن يبقى في مكابدة وأشواق تبرِّحه وهو يسعى وراء صحبة الكتب؟ ولكن الكلمة والأدب ينقذان ما يمكن إنقاذه ويمدان له يد العون !

«وعندما استقر بي المقام في الوطن الحبيب (١٩٧٦) منذ عدة شهور حاولت إعادة مكتبتي من جديد ، ولكن هيهات هيهات فالحصول على نفس الكتب والمجلات التي كانت في حوزتي أقرب منها صخور القمر والمريخ . . أما الكتب المتوافرة في الأسواق فهي باهظة الثمن . . ولست مستطيعاً اليوم أن أشطر راتبي بين أهل بيتي وبين كتبي كما فعلت في السنوات الخالية ؛ لأن أيامنا هذه أيام عصيبة أخذ الغلاء يزلزل أركان كل بيت يعيش على راتب الوظيفة . . ولولا ما تجود به الإذاعة مكافأة لأحاديثي وما تجود به مجلة اليقظة مكافأة لهذه الذكريات الأدبية لما استطعت أن أقتني بعض الكتب الضرورية التي لا بد من تواجدها في منزل كل أديب»[٩] .

**٢ ـ الاستكشاف ورحلة المكان :**

كان الاستكشاف بعضا من تكوين فاضل خلف بدأه وهو لا يدري أبعاده الكبرى ، وإنما هي رغبة في اكتمال التجربة ودخول صلب إلى الدنيا ، خرج في السابعة من عمره إلى البحر منفردا لا أحد يصحبه من الأهل والأصحاب المجاورين فاختلط ـ حذرا ـ مع آخرين ليعاني مصاعب السباحة بلا خبرة في نقعة ابن خميس «وهي حوض للسفن يحيطها سور من صخر لحفظ السفن من سورة الأمواج عند هبوب ريح الشمال ، وكان السور أو القاف يتلقى بصدره القوي هجمات الأمواج الدائبة الشرسة ، وكان بين النقعة والنقعة فتحة تمر منها السفن عند قدومها من البحر أو عند خروجها إلى عرض البحر وتدعى الفاتق» وبعد شهور نراه يغادر إلى عباب الأمواج البعيدة ويتمرّس بكل السباقات ومباريات القوارب التي يلهو بها الفتية .

ويروي لنا في ذكرياته رحلة مع صديق له ووالده الذي يجلب الأحجار والصخور من رأس عشيرج ـ وهو في الشمال الأعلى لجون ـ خليج ـ الكويت فيبيتون في العراء ويكسرون الصخر ثم يؤوب بمتعة كسر المألوف ومعرفة لا تتاح له في رتابة أيامه ، ثم يسافر على مركب إلى عبادان في الضفة الأخرى للخليج العربي حيث يعمل أبوه في شركة النفط الإيرانية ـ البريطانية ويكتشف في محطات على الطريق (بهمشير) طبيعة مغايرة وسمات في حياة الناس وهيئاتهم ونظاما ما كان له أن يعرفه في موطنه :

«لقد وجدت نفسي فجأة في جنة من جنان الله في الأرض ، وهي تسبِّح الواحد القهار ، كنت متعودا على ارتياد نقعة ابن خميس والصخور والماء المالح ، وكنت أتصور (بهمشير) مثل شواطئ الكويت ، أو ربما اختلفت عنها قليلا ولكن عندما دخلت السفينة شط بهمشير ، ورأيت النخيل والأعناب والرمان والماء العذب المتدفق تزلزل كياني من الدهشة والبهجة والسرور وتذكرت عند ذلك القصص التي قرأتها في ألف ليلة وليلة ، وعنترة بن شداد وسيف بن ذي يزن وغيرها عن المروج والأنهار والنخيل والبساتين والجواري ، فقد رأيت لأول مرة في حياتي الصبايا وهن سافرات الوجوه يتخطرن على الشاطئ ، إما في شؤون العمل وإما عابرات سبيل ، فهل كان هذا الشط الأخضر الدافق أول ملهم لي في دنيا الشعر ورياض الأدب وأنا في الرابعة عشر؟ ربما»[١١] .

لم يكن أهل فاضل خلف ممن يعملون في أسفار البحر أو الغوص ، لكنه أحس بمزيج من القدرية وضرورة المغامرة وارتباط ذلك بتحصيل معيشي أو حضاري عندما رأى أنه وأسرته يضطرون لتغيير الدار والحي تحت وطأة المصاعب المادية ويتنقّل أبوه بين وظيفة في دائرة البريد ١٩٣٠م . والتجارة في دكان للأدوات المنزلية ، وإثر الإخفاق يتجه الأب إلى عبادان ليعمل أربع سنوات في شركة النفط ويرجع بعدها إلى وظيفة في إدارة الجوازات ليغدو مديرا لها ١٩٤٧م ، ويلحظ الفتى اضطراب السفينة ثم اعتدالها في مسارها مع هذه الرحلة والدأب على التدبير .

وعندما اشتد عود الفتى وغدا يجول في غمار العمل بالتدريس والإدارة

١٩٤٤ ـ ١٩٥٨م نراه يسعى إلى رحلة تحمله إلى كمبردج يحصِّل فيها المزيد من العلم والثقافة بمعناها تكوينا حضاريا ، ويسرد علينا أخبار أسفار ورحلات من الجزائر والمغرب وتونس وإسبانيا ونلحظ دائما هذا الاقتران بين وجود الأمكنة وملامح التاريخ والأدب والفكر في تصورات فاضل خلف الذي عكس كثيرا من هذه التقاطعات والتأملات في شعره ، وفي مدونات هي سجل يفتح أمام القارئ مجالات معرفية وحوارية بين الماضي وتجارب اليوم :

«والأمر الثاني هو أن قرية (ساقية سيدي يوسف) عندما عبرنا كانت على يسارنا وتبعدنا مسافة تقدر بخمسين كيلومترا . وهذه القرية هي التي قصفتها القوات الفرنسية منذ ثلاث سنوات جواً وبراً أي في عام ١٩٥٩م ، عندما التجأ إليها المجاهدون الجزائريون ، بعد عملية فدائية مظفرة على إحدى الدوريات الفرنسية ، فأصبحت القرية خاوية على عروشها بعد أن كانت عامرة بسكانها الآمنين العزل .

وبذلك اختلط الدم الجزائري بالدم التونسي ، وأصبح يوم ١١ فبراير من الأعياد القومية التي يحتفل بها البلدان الشقيقان حتى يومنا هذا ، وقد ذكرت «الساقية» في قصيدة لي بعنوان «نهر مجردة» ومجردة هذا هو نهر تونس الذي ينبع من جبال الجزائر ويصب في البحر الأبيض المتوسط بالقرب من بلدة «قلعة الأندلس» وهذه بعض من أبيات القصيدة :

أتونس إن غنيت مجردة فقد
أعادت شبابي بعد أن جاوز المدى
وأنت ملاذ الحر إن جار دهره
يروح ويغدو من حماك مؤيدا
تعهدت أبطال الجزائر في الوغى
فما أرهبتك النازلات ولا الردى
وساقية الأحرار قد روَّت الثرى
دماء سيبقى وقدها متجددا» .[١٢]

### ٣ـ طواف في إثر الكلمات :

ليس غريبا أن يرتاد فتى أو طالب مكتبة المدرسة الشرقية أو المدرسة المباركية بالكويت في الأربعينات أيام الحرب العالمية الثانية ، ومن المشاهد المألوفة أن يتزود من مكتبة مقهوي أو مكتبة الحاج محمد أحمد الرويح ، لكننا نقف متأملين فاضل خلف ، وهو في الثالثة عشرة ، وما بعدها يجوب هذه المكتبات ويمر بمكتبة (الكتاب المقدّس) التي كانت إضافة إلى بيع الكتب تتيح القراءة الحرة للمجلات المصرية ، ويعرف مكامن مكتبة المعارف العامة (دار الكتب الوطنية) . وقبل أن نحدد مصادر قراءاته نتابع موقفين يفسران الصلة الوثيقة والمستمرة بالكلمة :

في الموقف الأول يلتقط خيطا ليرى العالم الذي تفجرت فيه الحرب الثانية ويعاني في قراءة اللغة الإنكليزية ، ونلمح إشارة بالغة الدلالة فهو يغادر عيادة الطبيب الإنكليزي ومعه دواءان ! !

«زرت عيادة الدكتور (كرين وي) في صيف ١٩٤٠ بسبب أذى في الرأس وكنت قد غبت عنه مدة طويلة ، فسألني باللغة الإنكليزية عن الوالد وعمله الجديد في عبادان ، وكنت أتكلم الإنكليزية بصعوبة كما أنه كان يتكلم اللغة العربية بجهد جهيد فكان يفضل إنكليزيتي على عربيته ، وبعد أن وصف لي الدواء سألني قائلا : أتريد أن تقرأ شيئا عن الحرب؟ لقد سقطت باريس ، والألمان قد يهاجمون بريطانيا قريبا .

ثم ناولني مجلة إنكليزية مصورة وقال خذها معك فإن فيها كل شيء عن آخر أخبار الحرب . بالله ما هذا؟ . . أولاً ما هي باريس؟ لقد تذكرت فقد جاء في دروس الجغرافيا أنها عاصمة لفرنسا ، والألمان من هم ولماذا يهاجمون بريطانيا وكيف؟ وخرجت من عيادته والمجلة في يدي اليمنى والدواء في يدي اليسرى . .»[١٣] .

وفي الموقف الآخر ندرك كيف أن رغبة امتلاك المجلة تعبر عن تجاوز الصلة الطارئة أو المستعارة فهو إذا طالع المجلات وخلّفها فكأنما الصحبة لم تكتمل وكل

يفصله عن الآخر جدار ! إن درجة من درجات الحب تتعالى ويسعى المحب ليبرهن على تقارب يعادل ما في النفس !

«وبعد تفكير اهتديت إلى حلّ لذلك الصراع الذي كان يعتمل في النفس مدة طويلة . لقد تعرفت على صديق لطول ترددي على المكتبات كان يشتري المجلات الأسبوعية ومن جملتها :

المصور وآخر ساعة والاثنين ، فسألته ماذا يفعل بها بعد الانتهاء من قراءتها؟ فقال : إنه يحتفظ ببعضها ويتخلص من بعض بالإهداء أو بالإتلاف . فقلت : حسنا أنت تشتري هذه المجلات الثلاث بروبية وآنتين ، فماذا تقول لو أنني عرضت عليك نصف هذا الثمن (أي تسع آنات) بعد أن تنتهي من قراءتها فتسترجع أنت نصف الثمن وأربح أنا نصف الثمن فوافق بدون تردد ، وكانت فرحته كبيرة لهذه التجارة الغريبة . أما فرحتي فكانت أكبر لأنني صرت أستمتع بهذه المجلات الثلاث بما فيها من علم وأدب وسياسة وأخبار المجتمع المصري والعربي والعالمي ، وأهم من ذلك أخبار الحرب العالمية الثانية التي كنت أتوثب شوقا لمتابعة أحداثها العجيبة ، وانغمست في جو الصحافة فتعشقتها منذ ذلك الوقت» .[14]

كانت متابعة فاضل خلف للمجلات توازي عنده ما يحصله من قراءة عدد من الكتب ، وهو محق في نظرته هذه لأن (المختار من ريدرز دايجست) و«المستمع العربي/ صوت لندن) و(المصور وآخر ساعة والاثنين) إنما تعطيه ألوانا من الأدب العالمي والعربي وأخبار الأحداث الكبرى ، والأهم فيها أنها تقدم نسيج الحضارة الحديثة في حشد من جزئياتها الصغيرة التي تبدو عادية ومألوفة في القاهرة ودمشق ولندن وباريس ونيويورك وسواها من عواصم ومدن ، لكنها ليست كذلك لمن يعيش في بيئة تسعى نحو التطور ولابد من دورة للزمن حتى تبدل كثيرا من الأدوات والعمائر وأساليب العمل والتقاليد ، إن قراءة المجلة أتاحت للفتى أن ينتقل ببصره ـ عبر الصور ـ وفي وجدانه بالتقمص والحركة بين هؤلاء وفي حلم بامتداد هذه الحقائق المادية إلى دياره وهو قادر على شيء من التماثل مع كل ما يدور بعيدا في مواقع الحضارة التي كانت تبدو زاهية وجديرة

بالاستمرار لأن بعضا منها هو من ملامح الغد .

ونلحظ أن اللغة الإنكليزية أخذت تتمكن من نفس هذا الفتى عندما أدرك أهمية الاتصال بالآخر وبالدنيا فإذا به يستعين بالدروس الليلية الإضافية ، ويغدو المعجم رفيقه وينتقل من الطبعة العربية إلى المجلة الأصلية (ريدرز دايجست) ويترجم بعضا من قصصها ، وبهذا تكاملت ألوان قوس قزح من الكتب العربية الشعبية كألف ليلة وليلة والسير وكليلة ودمنة ، ومن التاريخ ودروس الأدب ، ومن المجلات الثقافية الأدبية (كالرسالة) والثقافية العامة والأخبارية .

## ٤ـ المذياع وفضاء مشرع :

كان جهاز المذياع أو كما ألف الناس اسمه الأجنبي (الراديو) أعجوبة يلتفون حوله مبهورين يحبسون أنفاسهم حينا وتنهمر كلمات الدهشة في المجالس التي لم تعاينه أو تسمع منه حديثا أو غناء ، ولم يكن هذا التفاعل رهين السنوات الأولى لإطلالته في المدن العربية وإنما استمر حتى أخذ التلفاز حيزا واسعا من اهتمام الجماهير وميزانيات الحكومات ، ويصف لنا فاضل خلف مراحل تعرفه هذه الآلة ، ومن ثم تعلقه بها ففي سنة ١٩٣٥ سمع في ديوانية صديق لوالده هذا الجهاز لكن الوجل في زحام الحضور جعله لايتواصل وإنما رأى بهجة لعبة غريبة وأتيح بعد خمس سنوات أن يقترب في جلسة حميمية من الراديو عندما دعاه صديق وأدرك ما يعني هنا القاهرة أو لندن وبدت أهمية المعرفة والمتعة في ما تبثه المحطات المختلفة وائتلفت المطالعات في الصحف والمجلات وعالم الإذاعة لكن تقلبات الزمن وصروفه ألزمت أباه بالتدبير وتعويض المنزل القديم عبر سنوات ، ومن ثم ادخر الوالد قدرا من المال اشترى به أول مذياع سنة ١٩٤٧م .

ونقرأ مقطعا من ذكريات فاضل خلف في المدة التي حلم بالاستماع إلى الراديو ومدّ البصر من خلال كلماته إلى الدنيا الواسعة :

«ومرت الأيام حتى جاء عام ١٩٤٤ وكانت الحرب محتدمة الأوار ، مستعرة

النيران ، وكانت الدائرة قد دارت على هتلر ، وخصومه يتقدمون في كل ميدان ، وأصبحت أوروبا مسرحا لمعارك طاحنة يشيب من هولها الولدان وكانت أجهزة الراديو تتسابق في بث الأخبار ، وتتنافس في إذاعة الأنباء ، وفي إحدى الليالي كنت عائدا إلى المنزل من مدرسة ليلية لتعليم اللغة الإنكليزية ، وإذا بصوت الراديو يتعالى من إحدى الديوانيات ، فلم أستطع التغلب على رغبة ملحة في أعماقي لسماع الأخبار فوقفت وقوف الشاعر الشريف على أطلال ديار أحبائه ، وقفت خلف الشباك أسمع أخبار المعارك وإذا بصاحب الديوانية يلمح شبحي خلف الشباك ، فخرج ودعاني للدخول عندما تأكد أني عاشق للراديو محب لأخباره النضرات ، ولست لصّاً يغتنم الفرصة لاقتحام الديوانية !» .[١٥]

إن مكابدة فاضل خلف في حب هذه الآلة كان لها آثارها في تعلقه بكل ما يتصل بها وعرف مجلة المستمع العربي الصادرة عن إذاعة لندن وتأكد لديه سجل معرفي بأسماء الأدباء والفنانين الذين ترددت كلماتهم وأحاديثهم عبر الأثير وعلى صفحات المجلة كطه حسين وعباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني ويوسف وهبي وأمينة رزق ومعهما أعلام الفن المسرحي وهم يمثلون أعمالاً درامية ، واغتنى لديه الإحساس بالمعاصرة وازداد الحماس ليغدو في طليعة حديثة .

وقد شارك هذا المستمع المحب في مسابقات حفزت مواهبه وأذاعتها على الملأ ففاز بالمشاركة الأولى للقصة القصيرة سنة ١٩٤٨ ، وكذلك أحرز جائزة الشعر في موضوع (الإنسان وعالم الغد) سنة ١٩٦٤ في إذاعة لندن .[١٦]

ولعل من أهم النتائج الإيجابية لهذه الصلة الطريفة إسهام فاضل خلف في أحاديث لسنوات عديدة بثها من إذاعة الكويت تناولت وجوها من الأدب والفكر والتأريخ ، وضمت فيما ضمته ذكريات هي سيرة ذاتية تعد من أفضل إنجازات هذا الأديب وسنفرد لها جانبا لتحليلها في هذا الكتاب .

ونسأل هل خاض فاضل خلف تجربة التلفزة ونشاطها الإعلامي الثقافي وتتضح الإجابة في رأيه المتحيز للإذاعة ، فهي تستطيع حمل زاد وفير ومتنوع

وتتسع دائرة انتشارها وتتغلغل إلى زوايا وأوقات لا يبلغها التلفاز وصوره ، وتحقق اللقاء الحميم من غير مشاركة الآخرين .

ونحن نضيف لمحة هي أن صعود نجم التلفزة وفاعليتها إنما جد وفاضل خلف بعيد عن دهاليزها ، فقد كان يعمل لسنوات طويلة في الخارج لهذا عاد ولم تتطابق خطواته مع حركة جديدة ووجوه مختلفة .

**سيرة الكاتب والكتاب :**

إذا أردنا اختصار سيرة فاضل خلف فلن نجد إلا صورة واحدة تتمثل في سعي وراء الكلمة من حيث هي معرفة ورسالة سواء تمثلت في كتاب أو صحيفة أو محاضرة أو حديث عبر الأثير ، وتماهت لديه الدار والمدرسة والمكتبة العامة ودكان بيع الكتب والصحف والحسينية ولا تختلف مرحلة النضج والعطاء في العمل والإبداع والمقالات والدراسات عن مرحلة التكوين في دورانها حول (الكلمة والرسالة) وإنما هو اكتمال وتنوع الأدوار فقد تزود في الطفولة والفتوة وحصّل رصيده المعرفي والفني وتطبّع بطبائع وترسخت لديه حقائق نفسية في مواجهة الدنيا والبحث عن موقع بين وطنه الجغرافي بتطلعاته الحضارية والعالم بتنوعه وغنى يمكن أن يؤول إلى الأهل الذين يملؤون الوطن ، وهكذا بدأت رحلته يكتب أو يدرّس أو يشرف على المطبوعات والنشر ، وعندما تلوح فرصة يجمع بين هذا ومقاعد الدرس مجددا في بلاد بعيدة ، ثم نراه ملحقا صحفيا في سفارة بلده ليعود إلى صفحات ثقافية في الكويت ، ومصنفات تتوالى ، وإبداع في الشعر وألوان من النشر ، وكان هاجس الريادة وراء ذلك التنوع في إنتاج هذا الأديب ، ولايمكننا أن نغفل الظلال السلبية لتوزع الجهد في الحقول الإبداعية والنقدية والصحفية ، ففي وجه لها نرى ثمارا يتلقاها القراء والمستمعون لكن الوجه الآخر يحمل ظلما لطاقات لا تأخذ مداها والتفرغ الذي يمنحها أجنحة أقوى على التحليق ، ولعلنا نبين الزوايا المتعددة في استعراض نتاج فاضل خلف .

## تتابع تاريخي لسيرة فاضل خلف :

ـ ١٩٢٧ ولد فاضل خلف حسين التيلجي في حي ابن خميس في منطقة شرق بالكويت .

ـ ١٩٣٢ درس القرآن في المرحلة التحضيرية .

ـ ١٩٣٤ بدأ الدراسة النظامية .

ـ ١٩٤٠ أول أسفاره في زيارة بهمشير وعبادان في ضفة الخليج العربي الشرقية .

ـ ١٩٤٤ـ١٩٥٢ زاول التدريس في مدارس : الشرقية والمباركية والصباح .

ـ ١٩٥٢ـ١٩٥٤ عمل مترجما بدائرة المعارف «هي نواة وزارة التربية والتعليم» .

ـ ١٩٥٤ـ١٩٥٦ عمل سكرتيرا لدائرة المطبوعات والنشر «هي نواة لما يسمى الآن وزارة الإعلام» .

ـ١٩٥٨ـ١٩٦١ درس في كمبردج في بريطانيا (معهد الفنون والآداب) .

ـ١٩٦٢ـ١٩٧٦ عمل ملحقا صحفيا في سفارة الكويت بتونس ، وكان له حضور ثقافي مميز فيها ، وتمت ولادته الشعرية الثانية وتحول إلى القصائد التي جمعها في ديوانه الأول : (على ضفاف مجردة) .

ـ١٩٧٦ـ٢٠٠١ لايزال منذ عودته إلى الوطن يمارس الكتابة في الصحافة والتأليف لمجموعة من الأعمال الإبداعية والنقدية والتاريخية .

## تتابع سيرة الكتب :

ـ ١٩٥٥ أول كتاب له : (أحلام الشباب) مجموعة قصص قصيرة .

ـ١٩٥٦ (في الأدب والحياة) مجموعة مقالات يعود أقدمها إلى أواخر الأربعينات .

ـ ١٩٥٧ (زكي مبارك) دراسة قدم لها الدكتور طه حسين .

ـ ١٩٦٩ (دراسات كويتية) طـ١ ، ثم كانت الطبعة الثالثة ١٩٩٦م .

- ١٩٧٣ (على ضفاف مجردة) ديوان شعر .
- ١٩٧٧ (سياحات فكرية) مقالات ودراسات وبعض الرحلات .
- ١٩٨١ (٢٥ فبراير) ديوان شعر .
- ١٩٨٣ (أصوات وأصداء) مقالات ودراسات ورحلات .
- ١٩٨٥ (قراطيس مبعثرة) ذكريات ومقالات .
- ١٩٨٧ (ذكريات نقعة ابن خميس/ صوت البحر) مذكرات وسيرة .
- ١٩٨٧ (أزهار الخير) مقالات متنوعة .
- ١٩٨٩ (أصابع العروس) المجموعة القصصية الثانية .
- ١٩٨٩ (الضباب والوجه اللبناني) خواطر غنائية نثرية .
- ١٩٩١ (فرحان راشد الفرحان/ والقصة القصيرة) دراسة .
- ١٩٩٢ (سعاد الصباح/ الشعر والشاعرة) دراسة .
- ١٩٩٥ (كاظمة وأخواتها) ديوان شعر .
- ٢٠٠٠ (عبد الله سنان/ مغني الشعب حياته وشعره) دراسة .

* ذكرت الأديبة ليلى محمد صالح في مصنفها «أدباء وأديبات الكويت» اسم «دراسات كويتية» لفاضل خلف مرتين مما يوقع الظن بأنهما كتابان مختلفان ، وإنما هي طبعة أخرى زاد فيها المؤلف بحوثا جديدة .

* لم نعثر على الطبعة الأولى للمجموعة القصصية (أحلام الشباب) واعتمدنا على كتاب (أدباء الكويت في قرنين) لخالد سعود الزيد الذي نشر فيه قصص فاضل خلف في المجموعة مع تعديل بعض العناوين بحسب رغبة (خلف) وذكر (الزيد) ما طرأ على التسميات ، وهذا جانب أربك تدقيق أعمال خلف عددا وتسمية لدى بعض الباحثين .

# القصة عند فاضل خلف

أثارت الصحافة الكويتية التي بزغت في أربعينات القرن العشرين الرغبة في الكتابة لدى جمهرة من الشباب الذين يعدون ثمرة التعليم الحديث ، وحظيت القصة بنصيب وافر من طاقات الساعين في دروب الإبداع والراغبين في إسهام يسارع الخطو نحو التطور وتنسم رياح العالم من حولهم (انطلقت مجلة البعثة ١٩٤٦ وتوالت بحماسها وفي إثرها مجلات كاظمة ١٩٤٨ والكويت في عودة لها ١٩٥٠ والرائد ، والإيمان ، والبعث ، والفكاهة . .) إلا أن هؤلاء كانوا ينصرفون بعد نشر قصة أو قصتين إلى شؤون أخرى من العمل أو الكتابة ولم يبق في الميدان مثابرا ومواصلا الجهد على نحو يتبلور له قوام وملامح سوى ثلاثة هم : فهد الدويري ، وفرحان راشد الفرحان ، وفاضل خلف .

سارع فاضل خلف إلى طباعة المجموعة القصصية الأولى (أحلام الشباب) سنة ١٩٥٥ كما نقرأ على أغلفة كتبه ـ فهو لم يثبت تاريخا على مجموعته ـ وكذلك استنتاجا من مقالة نشرها سليمان الشطي في مجلة الأديب البيروتية سنة ١٩٦٩ حول فاضل خلف يذكر فيها مرور خمسة عشر عاما على صدور المجموعة ، أما خالد سعود الزيد فهو يدوّن ـ ولعله خطأ مطبعي ـ تاريخ ١٩٥٧م مما استدعى هذه الملحوظة حول تاريخ كتاب معاصر ! ![١٧]

عبَّر التنوع في قصص (أحلام الشباب) عن تطلع لدى المؤلف إلى أن يملأ حقول المتلقين بما يكفل استجابتهم من ناحية ومن ناحية أخرى يضمن توصيل رسائله الاجتماعية والثقافية ولهذا نجد ألوانا ثلاثة :

١ ـ القصص الواقعية المستمدة من تجارب المجتمع المعاصر للمؤلف وقضايا العلاقات الأسرية والأدوار التي يمارسها كل فرد في الخلية الأساسية ، وكذلك هناك ظواهر مرتبطة بتغير أنظمة العمل والوظائف وطريقة علاجها وموقع الإنسان في قيم أخلاقية ونفسية ، وبعض المعتقدات الشعبية : «حنان أم ، حضرة المدير ، سر المطلقة ، من وراء حجاب ، التميمة ، السهم الأخير ، الشبح ، في سكون الليل ، أحلام الشباب ، عاصفة في قلب ، من أجل البقاء» .

٢ ـ القصص التاريخية أو المعتمدة على أصول تراثية ، وهي التي صاغها المؤلف بأسلوبه الحديث محاولاً تقريبها من قالب القصة ، واقتصر هنا على

اثنتين : «البعث ، ومن نكبات الدهر» .

٣ ـ القصص المترجمة أو المقتبسة عن الآداب العالمية فكانت إيطالية ، وإنجليزية ، وأمريكية : عودة البطل للكاتب الإيطالي أندرو مونتانيلي ، وخطوات في الليل للكاتب الإنجليزي جي ترينور ستوري ، والمؤامرة وهي ملخصة عن قصة أمريكية بلا توقيع ، والزوجان السعيدان للكاتب الأمريكي روي كوهين ، والانتقام الرهيب للكاتب الإنجليزي جون ترويريج .

أما ينابيع القص والمؤثرات التي حدت بفاضل خلف إلى هذه المساحة ولونت النتاج بذلك التعدد إضافة إلى البذرة الكامنة في النفس وهي النزوع إلى الحكاية فنحن نتتبع منها :

ـ جولته بين الكتب الشعبية والحكايات (ألف ليلة وليلة ، وسير عنترة وسيف بن ذي يزن وما كان سالكا مسالكها) إضافة إلى القصص العربية الحديثة .

ـ دراسته للتاريخ العربي والإسلامي ، وقد روى لنا تأصلها في نفسه وفكره منذ النشأة ، فلم ينتظر ما تعطيه المدرسة وهرع إلى أمسيات الحسينية حيث يسمع محاضرات وندوات ويناقش بقدر ما أتاحت له سنه وآفاق المحاضرين ، فغدا مرجعا لزملائه في أحداث التاريخ وشخصياته ، ونال مكانة طيبة عند أساتذته ، وفي حالة كهذه يخرج الأمر إلى مدى أبعد من معلومات تلقى فهو تفاعل وتجذر في النفس ، وخيال الطفولة والفتوّة قادر على رسم الحكاية وتعاظم البطولة والإحساس بالصراع ، وشكّل الزمن التاريخي أرضية سوف تلتحم بالدراية الروائية أو القصصية مع القراءة الواعية بتدرج التحصيل المعرفي وهو غزير لدى فاضل خلف ومتعدد[١٨] .

ـ مطالعته للقصص المترجمة في مجلة ريدرز دايجست وسواها ، ثم يتحول إلى الأصل الأجنبي نفسه ، وهنا نشير إلى نوعية هذه الأعمال ، فلم تكن لكبار الكتاب في ميدان القصة وأهمية ما تابعه ثم ترجمه بنفسه أنه نتاج قريب جدا في معاصرته الآنية مع صدور المجلات ، مما يعطي الشعور بملامسة التجارب في المجتمعات الغربية إضافة إلى أنها تمثل وجوها مغايرة للمظاهر الاجتماعية المحيطة به ومعالم الحياة المادية ، وهذا يعد نظيرا يغري بعضه بالتماهي على الرغم من

التناقض بين الموقعين المحلي والأجنبي .

ـ أما العامل المحرك فهو التحدي الحضاري والرغبة في اختراق يبلغ إلى الضفاف البعيدة ، وكانت القصة أداة ميسورة التلقي عند الجمهور بطبقاته ، فأعانت الصحافة على مد الجسور .

**واقعية فاضل خلف في قصصه :**

عرض فاضل في قصصه الواقعية شخصيات مستلبة تنوء تحت وطأة أنماط من السلوك والمبادئ الخاطئة في التعامل ورؤية المستقبل ، ويبدو لأول نظرة صراع بين الأجيال ترجّح الكفة لصالح الجيل القديم ، إلا أننا ما نلبث أن ندرك أن الجميع يصيبهم الاستلاب لوقوعهم ضمن دائرة محكمة من الموروث الذي غدت ضرورته بدهيّة لدى كثيرين ، وهذا ما أراد فاضل خلف الوصول به إلى قارئه أي رفض هذه الحالات بعد تأملها ، فهو لا يريد التمرد بحدته وإنما التطور الآخذ بأسباب التغيّر خاصة وأن المجتمع الكويتي راغب في التغيير في إحساس داخلي له عندما أنشأ المدارس وفتح الأبواب للكتاب والمجلة وانفتح على العالم ولكن السمة المحافظة تظل عصية على الاستجابة السريعة لأسباب نفسية في الاعتياد والاطمئنان إلى المستقر والخوف من ترك (المضمون) خشية التفكك وفقدان الاتزان .

من مظاهر الدمار في الأسرة في قصص (خلف) تسلط الحماة وقسوتها على زوجة الابن مما يؤدي إلى سحق شخصيتها الإنسانية وخضوعها لممارسة مهينة ، وشبح الطلاق تسودّ معه الدنيا إذ يخلّف امرأة منبوذة في بيت أهلها ، ونرى بطلة قصة (حنان أم) لطيفة تحتمل الضيم حتى يطفح الكيل فتثور ويقع الطلاق لتجد مسارا جديدا عوّض بزوج طيب لكن ابنها الذي تركته ينفصل عنها وجدانيا بفعل التخريب النفسي الذي مارسته الحماة السابقة ، وهكذا نجد النموذج الإيجابي الذي لم يرضخ للقيود يقع فريسة الضربات اللاحقة للزلزال الذي نجا منه ، و(شريفة) بطلة (من أجل البقاء) تقاوم حتى لا يدهمها الطلاق المهددة به ،

وتفسد ما بين حماتها وابنها إذ تضع النفط في قدر الطعام إلا أنها سرعان ما تخسر المعركة باكتشاف أمرها[١٩] .

ونجد تعطيل الأهل للمستقبل في عدة صور ، فالفتاة المتعلمة يعسّر أهلها زواجها ثم ترضى بعد سنوات طويلة برجل كبير السن وغريب عن طباعها فتؤول إلى الفراغ القاتل بعد تخلصها من هذا الزواج بالطلاق «سر المطلقة»[١٩]

وفي موقع آخر نجد الرجل مرهقا أمام زوجة متسلطة تنغص حياته بطلبات يعجز عنها ويضطر للاستدانة استجابة لما تريد ثم يخفق في مسعاه بثورة غاضبة منها (عاصفة في قلب) . ويتضح لنا أن الرجل مستلب في عدد من القصص خاصّة في الجيل الجديد ـ الأبناء ـ فالأم تدير المنزل الكبير ، وتختار له الزوجة وتعمل على تطليقها إن لم تخضع لها[١٩] .

وتعرض سلبيات المعتقدات الخاطئة ـ في العلاج بالتمائم (التميمة) والأوهام عن المخلوقات الغريبة وما يترتب على ذلك من هيمنة وتسيير للأفكار (الشبح) .

ونشير إلى عدد من السمات في هذه القصص : أولاها أنها تدور في البيئة المحلية لا تخرج بعيدا عنها والثانية أن المرأة لم تعرف ترف الحب والعشق ، وإنما رسمت معاناتها زوجة وابنة وأمّاً ، فأحاسيسها دوّارة في عجلة ترهقها . وأما السمة الثالثة فهي أن التجربة خرجت عن الذاتية لدى الكاتب فهو يتحدث عن واقع وقضايا فيه على نحو موضوعي .

وفي جانب آخر نشهد عملية التطور الإداري والعملي تسحق نفوسا وتعطل طاقات فيها ، فأصحاب الخبرات الذين بنيت على كواهلهم المؤسسات ومواقع الإنتاج إنما أسهموا بالمعاناة واكتساب المعرفة وتطبيقها من غير شهادة من كليات أو جامعات ، ومع تحديث النظرة تغدو تلك الورقة شرطاً للبقاء في مناصب الإدارة وينسحب بل يبعد من بنى هذا الصرح تاركا مكانه لشاب صغير قليل الخبرة (حضرة المدير) وتجرح المأساة عندما يطبق هذا النهج على بعض وثمة آخرون يتمتعون بالمزايا وهم لا يحملون هذه الشهادات ، فالتناقض والهيمنة يمثلان الشرخ المتعاظم في المستقبل[٢٠] .

تعاقب عدد من الدارسين على تناول الاتجاه الواقعي في نتاج فاضل خلف

القصصي ، كان د . سليمان الشطي أولهم في مقالة في مجلة الأديب ١٩٦٩م ثم في مقدمة مجموعته القصصية (الصوت الخافت) ١٩٧٠م ، وضمن كتابه مدخل القصة القصيرة في الكويت وعبّرت إشاراته عن رؤية ثاقبة وموجزة ثبتت الريادة لخلف ، وبينت النهج الواقعي الإصلاحي ، وعرفت أبعادا تنتظر في بعض هذه القصص .

وأفرد د . محمد حسن عبدالله صفحات عرضت إنجازات (خلف) في سبره الواقع بلا تجميل ، وفي وقوفه عند المرأة وقارن بينه وبين أقرانه موضحا تميزا في بنية القصة ، وقد حاول الناقد في كتابه (الحركة الأدبية والفكرية في الكويت) أن يضبط ثبت القصص ما نشر في المجموعة ، وما لم يورد مما كتبه (خلف) في المجلات إلا أن هذه المحاولة ارتبكت بسبب تبديل أسماء القصص بين المجلة والمجموعة .

وكانت دراسة د . إبراهيم عبدالله غلوم هي الأوسع مساحة ، والأكثر تفصيلا واستطاعت أن تكشف الزوايا الاجتماعية وأصولها الفكرية والنفسية على نحو متقارب مع التناول الفني لبنية القصص سردا وشخصيات ، ويعد هذا العمل النقدي من المراجع الأساسية في بابه خاصة وأنه يقارن تجربة (خلف) بكتاب القصة القصيرة في الكويت والبحرين (القصة القصيرة في الخليج العربي / الكويت والبحرين/ دراسة نقدية تأصيلية) .

وقد انفرد الأديب والناقد إسماعيل فهد إسماعيل بتحليل واحد من أعمال فاضل خلف تحليلا تفصيليا هو قصة (حنان أم) وقد اجتهد في إظهار البعد الاجتماعي والاقتصادي في الحقبة المرتبطة بالقصة ، وأشار إلى زوايا كان يمكن تجاوزها لترتفع إلى شمول أكثر من فاعليتها (كالتخفيف من النواحي الوصفية والسردية) ، كما بين إسماعيل ملمحا رومانسيا في أجوائها النفسية (القصة العربية في الكويت / قراءة نقدية)[٢١] .

وقد مرّ النقاد مرورا عابرا بما جاء في (أحلام الشباب) من قصص مستمدة من التراث العربي الإسلامي ، أو مترجمة عن الأدب الأجنبي ، ذلك أنهم لم يروا فيها إسقاطا على الواقع كما يكون الشأن في القصص الرمزية ذوات الأقنعة ، أو هم افتقدوا أعمال الكتاب المرموقين في العالم .

وإنصافا لهذا الكاتب لابد من كلمة في اختياره فهو ظل وفيا للتراث الذي نهل منه قدرا كبيرا من روح الحكاية وسحرها ، فأراد أن تظل الحبال موصولة بهذه الجذور على الرغم من السعي نحو حياة جديدة ، ومن زاوية التلقي يدرك (خلف) أن جمهورا ليس بالقليل لايزال يرتكز رصيده الثقافي على معطيات قديمة قادرة على الاستمرار في غمرة حماسنا المستقبلي ؛ لذلك توجه إليهم بعملين (البعث ومن نكبات الدهر) وسبق أن أسهم في مجلة (كاظمة ١٩٤٨) بسرد تاريخي حول استشهاد الصحابي (حارثة بن سراقة) وارتقى الأداء ليغدو نسيجا قصصيا في التقاطه اللحظات الحرجة والحاسمة ، والوصف المركز والحوار والنهاية الممثلة اكتمال حبكة الموقف لا الحادثة[٢٢] .

وبتأمل القصتين المأخوذتين عن كتب التاريخ والتفسير نجد في (البعث) اكتمالا لدائرة الحياة التي لا تقتصر على المقيس بقوانين البشر ومعارفهم المادية فثمة أحداث وظواهر حاضرة ، وإن يكن التفسير فوق حدود تعليلنا المقيد بمعرفتنا !

★★★

وفي قصة (من نكبات الدهر)[٢٣] تبصرة ـ عبر الأحداث ـ بما يجره الطغيان من هلاك لا يبقي ولا يذر . وقد تضمنت هاتان القصتان غرابة وإدهاشا لهما جاذبية لدى المتلقي يكسبان المتعة الجمالية وهذا أمر مطلوب في وظائف القصة وعندما نعود إلى التطلع النظري لفاضل خلف والذي دوّنه في مقال نشرته مجلة الأديب ١٩٤٩ وضمه كتاب (في الأدب والحياة) فإننا نلحظ اهتمامه بالتشويق والمفاجأة :

«إن المفاجأة تجعل القارئ يحس أنه قرأ شيئا ذا بال وربما عاود القراءة مثنى وثلاث ورباع بحسب قوة المفاجأة ووقعها في نفسه ، وأذكر أنني قرأت قصة مترجمة عن الإنجليزية بقلم الأستاذ عبداللطيف النشار في مجلة الرسالة بعنوان (من أثر الوعيد) وقد هممت أكثر من مرة بإلقاء المجلة من يدي قبل إنهائها بيد أني ما كدت أصل إلى نهايتها الغريبة حتى تبدل رأيي فيها وأعدت قراءتها بعد ذلك مرات عديدة»[٢٤] .

ولا يغرب عنا أن المتلقي الذي توجه إليه فاضل خلف كان متعدد الوجوه ، وهذا ما دفعه إلى تنويع الألوان سواء في التراث أو الترجمة التي اهتمت بإشارات دالة ـ إضافة إلى الجانب البوليسي وبعض الجوانب الرومانسية ـ فصورة الأسرة السعيدة والمتعالية على المطامع المادية في قصة (الزوجان السعيدان) والحصار المادي المناقض في قصة (خطوات في الليل) وما يسبب من جريمة كلاهما يضيء زوايا مقابلة في أحداث القصص الواقعية المحلية[٢٥] .

وتكشف قصة (خطوات في الليل) الزيف المتستر خلفه من يحملون الأمانة فالشخصية الأساسية فيها كاتب يزوّر الحقيقة بشهادة كاذبة ثم نراه يجني الثمر الحرام منها بلا تأنيب ضمير أو وعي بالخطر الداهم عندما تنفلت القيم ، وفي قصة (المؤامرة) تكمن خلف حبكتها البوليسية إجابة عن وقع القصة السابقة فههنا كاتب قاربه الموت وكاد المفسدون يفتكون به ؛ لأنه استخدم قلمه في إظهار شرورهم وفي دعوة إلى الوقوف في وجههم[٢٥] .

### أصابع العروس ورجع الصدى :

ارتضى فاضل خلف أن يمسك بأزمّة خيول تتناهب طرق الكتاب والإبداع أمداً فهو يحاور الشعر في تجارب وقصائد يمتحن قدرتها على الوفاء بمكنونات يموج بها صدره ، ويكتب القصص ولا تتوقف إسهاماته في مقالات وبحوث ، وهكذا تتابع صدور أعماله (أحلام الشباب ١٩٥٥) ثم مجموعة مقالاته (في الأدب والحياة ١٩٥٦) وبعدها اكتمل كتابه (زكي مبارك ١٩٥٧) ، ولا يلبث طويلا حتى يسافر إلى بلاد الإنجليز (كمبردج) بعد أن أسعدته خطواته على درب مشى فيه أدباء أحبهم وتاق إلى مقاربتهم بدراسته للدكتور زكي مبارك ، وأمضى أربع سنوات ويعود إلى الكويت ١٩٦١ ليجد سفرا آخر ينتظره فيبقى معه أربع عشرة سنة يفرغ للشعر والنشاط الثقافي ، ونبحث عن قصصه فلا نجد لها أثرا على الرغم من توالي كتبه في السبعينات والثمانينات .

تطالعنا في أواخر عقد الثمانينات ١٩٨٩ مجموعة قصصية بعنوان (أصابع

العروس) يقدم فيها فاضل خلف خمسة عشر عملا (وعاد الشباب ، السراب ، بين جيلين ، إن بعض الظن إثم ، ابن العم المجنون ، ما عجز عنه الطب ، عندما تقترب المسافات ، الحب ولكن ، المفاجأة ، الزهرة الآدمية ، صدفة ، الشاعر ، أصابع العروس ، المصير ، الوصية)[٢٦] .

واللافت للنظر أن أمامنا مواقف وأفكارا تشكل كل منها نواة لقصة قصيرة إلا أن المؤلف تركها تدرج بعيدا قبل أن ينبت ريشها لذلك فنحن نراها موزعة من غير أن تقوى على الارتفاع مع أسراب تجوب الأفق .

يدفعنا الفضول لنبحث عن شخصيات الخمسينات والأربعينات (في قصص أحلام الشباب) في هذه المجموعة الجديدة ، أو لعل الجيل الثاني أو الثالث هو الذي حل مكانها ! إن المرأة خرجت من إطار البيت القديم وحالة الاستلاب وغدت صاحبة المبادرة ، وفتحت النوافذ لتسمع أحاديث الحب فلن تبدأ عمارة بيتها مع زوج لا تحبه أو لا ترتسم في خطواته ملامح من أحلامها وتصوراتها ، إضافة إلى أننا نراها طبيبة أو مسافرة إلى الخارج ، كما نجدها تخوض المحافل الأدبية شاعرة .

إن بطلة قصة (المصير) يروّع قلبها غياب من أحبت وتحاول أن تتجاوز هذه المحنة (ذاك الفارس الأول ودعني إلى الأبد . . وسافرت مع والدي في رحلة عمل إلى لندن . . خشيت لو تركني وسافر وحده يعود فيجدني خرساء بعين شاخصة إلى الموت . .) وعندما تلتقي بواحد من رجال الأعمال يسعى إلى وصالها فهو شاب يخلط المال بالعلاقات الإنسانية ، ولا يجد غضاضة في الاقتران بها مع أنه متزوج ، يدور حوار بينهما تكون الكلمة الأخيرة لها :

ـ . . لكنه عاد ليسألني عن استمتاعي بالليلة قائلا :

ـ سعيدة؟

ـ أظن ذلك ، لقد استمتعت بكل شيء الموسيقا والرقص . . العشاء . . ونسيت نفسي لبضعة لحظات قليلة ، ولكني نسيت أن أسألك !

ـ ماذا؟

ـ أتحب زوجتك الانجليزية؟

ـ جدا .

ـ وتريد أن تتزوجني؟ !

ـ وماذا في ذلك؟ ألديك مانع؟ إني أحببتك منذ اللحظة الأولى والقرار قرارك الآن فهل تحبينني؟

ـ قلت في سخرية : بالطبع لا كيف أحب بهذا الشكل ، وبهذه الصورة إنه جنون .

ـ إنه جنون لذيذ يصلح لنهاية القرن العشرين .

وافترقنا . .»(٢٧) .

لكن المؤلف يكافئ بطلة القصة على نحو مفاجئ بمصادفة تجمعها بحبيبها ! ونجد في قصة (بين جيلين) حنان تشترط على مصطفى أن يكون رفيق الطموح وأن تتمثل فيه الاستجابة العصرية في المنزل بأن يشارك زوجته :

«قال في انفعال : ماذا تقولين؟ لماذا لست بالشخص الذي يتمنى أن يتزوجك .

فأجبته : ما يدريني . . ما يدريني . . ولكن من أريده وأحلم به هو الفتى الطلق ، الضحوك ، الطامح ، ولا أريد من يحلم بكل شيء ولا يحرك ساكنا للنجاح . أعلم أنك متفوق في كلية الطب وتهيئ نفسك لتكون طبيبا ناجحا ، ولكن هل تستطيع زراعة الأعضاء البشرية التي لم يفلح الأطباء حتى الآن في زراعتها رغم جهدهم المتواصل . . هل ستفكر أن تكون مثل برنارد زارع القلوب؟ هل ستفكر في اكتشاف فيروس (الإيدز) ، كلمني عن هدفك ، كلمني عن طموحاتك . .»(٢٨) .

ونصادف شخصيات نسائية تقع تحت ضغوط وأزمات لكنها لا تستلب ولا تقبل الهزيمة كاملة ، ففي قصة (الوصية) يجتمع الورثة يترقبون رد فعل الزوجة التي رفضت الإنجاب لذلك فهي أمام شرط الوصية ألا تتزوج وإلا حرمت الميراث .

«ولما شمتت بها السيدة فريدة كل هذه الشماتة ، ولما غمزت لها بحاجبيها وتشدقت : أرينا كيف ستنجبين بعدما اشترط عليك عدم الزواج؟ !

انتهى المحامي من تفنيد بنود الوصية ورمق عايدة بعين الشفقة وقال :

ـ ماذا ستفعلين يا ابنتي؟

فردت عليه من خلال دموعها : كل مشكلة ولها حل أيها الرجل الطيب فالأيام تسير ، وما من أحد يدري ماذا تدبر له المقادير»[٢٩] .

نقف عند قصة (أصابع العروس) فقد عرض فيها المؤلف رومانسية حالمة تتحطم في عزلة لأن المراهقة (صفية) تحب (فيصل) وتحفظه في حنايا فؤادها وتتابع أخباره وهو لا يدري عنها شيئا وغاب في حياة الشباب ثم تزوج ، وتحل كارثة كادت تودي به إلى مصير مؤلم ـ وهنا يريد فاضل خلف إبراز التقاطع بين نبض العلاقات الإنسانية والهزة الاقتصادية المعروفة بأزمة المناخ في الكويت ١٩٨٠م ونكتشف في دورة الزمن أن صفية تزوجت رجلا ثريا في الستين فيموت تاركا لها ثروة كبيرة ، وعندما تصلها أنباء فيصل المتورط في مضاربات البورصة الوهمية وأنه مهدد بالسجن مدى الحياة تهرع إلى كل ما تملك لتفك أسر هذا الحبيب القديم ، وبهذا تمارس المرأة فروسية عصرية تكتمل في امتداد الموجة لأن فيصل ذهب ليعرض عليها الزواج ـ وكأنما هو تعويض لها عن معاناتها في الانتظار القديم ، وعرفان بجميلها لعله يمنحها سعادة ضائعة ، ويأتي ردها رافضا ومستنكرا :

ـ أزواجي منك يجعلك تعيسة وشقية؟ !

ـ أجل .

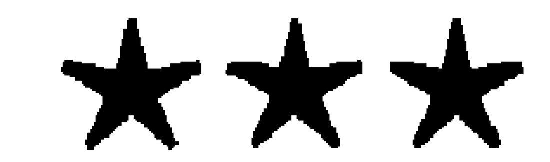
ـ كيف؟

ـ لأنك تريد أن تخرّب بيتا دفعت لإنقاذه من الدمار كل ثروتي ، ولو أنك تستطيع أن تتصور حلاوة ما أشعر به من الراحة والحب لما طلبت مني هذا الطلب . . عد إلى زوجتك فهي التي جادت عليك بها السماء ، ودعني أنا أنتظر رحمة ربي . . واعلم أن المال الذي دفعته لانقاذك هو ثمن ما كنت تطعمني إياه من أصابع العروس تلك النبتة التي كوّنت في جسدي أغلى خلايا الحب»[٣٠] .

ويظهر أن الروابط بين الأزمة الاقتصادية وهذه الحالة الاجتماعية وأبعادها الإنسانية ليست وثيقة ولم تتغلغل في تفاصيل تبنى على جدل في الحركة وتأثير

تتنامى فيه الأحداث ، ولو أننا استبدلنا بالمناخ أي عارض أصاب (فيصل) لما اختلفت النتائج ، وهذا ما نجده في القصتين اللتين ورد فيهما ذكر (المناخ) وهما : (الحب ولكن) و(المفاجأة)(٣١) .

لقد كانت معطيات البيئة المحلية الخليجية قاب قوسين أو أدنى من النقاط القابلة للتطور والنماء على نحو مميز في بعض القصص لكن المؤلف اكتفى بزوايا جانبية أو هي عامة لم تكشف لونا من الحياة متشكلا من طبيعة تكوينها المعاصر بشبكته المركبة مادية وفكرية وسلوكية ، كما رأينا قبل قليل في قصة (المصير) التي تدور مزدحمة برجال الأعمال والصفقات حول العالم وكذلك في قصة (عاد الشباب) التي تذكّرنا بمسرحية توفيق الحكيم (آه لو علم الشباب) وفيها يعود ثري سبعيني إلى الشباب فينكره أهله والناس جميعا[٣٢] .



# عالم الشعر عند فاضل خلف

يمثل الشعر عند فاضل خلف حالة طريفة في علاقة بين الشعر والشاعر وبين هذا الشعر والألوان الأدبية الأخرى ، ويبدو لنا أن نقد الأعمال الشعرية هنا لا يستقيم ولا يكون منصفاً ما لم يجمع إطلالة خارجية وراء النص ـ دواوينه الشعرية ـ إلى التحليل الأسلوبي من داخل القصيدة .

لهذا آثرت أن أتناول الحالة الشعرية ، ثم أعرض الآفاق والدوائر التي توزعت فيها اهتمامات فاضل خلف ومواقفه عرضاً أولياً فيه شمول المساحة الممهّدة للدرس التفصيلي ، وأفردت حيزاً لنقد تطبيقي يجول في واحدة من قصائد الشاعر .

نشر فاضل خلف ديوانه الأول ١٩٧٣م (على ضفاف مجردة) ثم تلاه الديوان الثاني (٢٥ فبراير) في عام ١٩٨١م وجاء الديوان الثالث (كاظمة وأخواتها) في عام ١٩٩٥م ويتبادر سؤال عن سبب هذا التأخر في حياة أدبية نشطة منذ أواسط الأربعينات ، ويتفرع استفسار آخر . . هل كانت للشاعر قصائد قديمة لم تعرف طريقها إلى المطابع ، أم أنه اكتفى بنشرها في الصحافة وآثر ألا يضمها كتاب؟ !

هزّت روح فاضل خلف وأرسلت فيها بهجة تحمل دنيا جديدة رحلة نقلته من شاطئ (الصبية) الكويتي إلى الضفة الأخرى من الخليج العربي حيث (بهمشير) ونهر (كارون) وخضرة ممتدة وظلال يزيد أنسها تجوال الحسان في جنباتها ، كان الفتى ذو الأربعة عشر ربيعاً يسبح في نهر ومحيط ، فالأول هو هذا الذي يحتويه بمذاق لا يعرف حلاوته إلا من حرّقت عينيه ملوحة أجاج البحر ، وأما الآخر فهو عالم ألف ليلة وكأنما تلك السفينة لم تكن تشحن الرمال إلى أطراف بلاد فارس وإنما هي بساط سحري قفز منه (فاضل) في لحظة هائمة بين غيومٍ سَحَبَ بياضها مشاهد بلاد تمهيداً لتفتح ألوان أفق تصنع منها أغلى الأحلام .

إن عمق التحول في نفس الفتى مع هذه التجربة ـ لدى خروجه من محيطه الذي خبره إلى محيط مغاير وطبيعة آسرة ـ ظل مطبوعاً سنوات وأتاح للشاعر الكامن في داخله منفذاً يتلمس خطواته ونسمع كلمات في خواطره :

«فهل كان هذا الشطّ الأخضر الدافق أول ملهم لي في دنيا الشعر ورياض الأدب وأنا في الرابعة عشرة؟ ربما»[٣٣] .

تعددت مساهمات الشاب بين المقالة والقصة وشيء حسبه شعراً فأحاطه بالرعاية وطاف به على أهل الأدب من زوّار الكويت ، وأرسله إلى مجلات وصحف ، لكنه أدرك أن أوتار النغم تحتاج إلى ضبط تقوى معه على مجاراة الرياح ، وتعرف الانعطاف مع وجيب القلب ، ولم تكن مشكلته في المعرفة فهو قارئ نهم صحب الدواوين القديمة ودارسها فأعطته الكثير ، وإنما هي حالة متحيّرة جعلت الشعر شريكاً مع فنون أخرى من الكتابة ، وهو الذي لا يرتضي إلا الفوز بمجامع النفس فتمتد الشرايين بين الكلمات وإيقاعات نبض الحياة .

لمعت في سنة ١٩٤٨م فرصة على ظهر سفينة إنجليزية فاتنة ، فأضاءت ما كان مضطرباً وعراً ، وسمح الشعر عندما حلّق صاحبه معه فانتظمت خفقة الأجنحة وكشفت غماماً وقرأت شفتا الشاعر طلاسم كانت غريبة عنه .

إن كسر المألوف بحدّة هو العلاج الذي يحتاج إليه فاضل خلف ، وقد روى لنا وقائع هذه الليلة عندما حلّ ضيفاً ـ وهو موظف البريد لدى شركة نقل في ميناء الكويت ـ ولبس رداء السهرات الغريب ، وصدق مستر (كرشو) البريطاني مسؤول البريد ، فقد وعده أن تستقيم أوزانه بعد هذه الحفلة التي تبارت على حلباتها الموسيقا والحسان وضحكات ورقص وفضاء يحتضن الجميع :

«كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عندما حانت ساعة الوداع والنزول من الباخرة إلى زورقنا الذي أعادنا إلى الكويت ، ولا أكتم القارئ أنني عندما هممت بالنزول إلى الزورق تمنّيت أن تكون هناك قوة تضمني بكل ما تستطيع من مقدرة لكي أبقى على ظهر الباخرة وهي تمخر عباب الماء نحو المجهول ، ولكن هيهات . . هيهات .

. . والشعر الذي يقرؤه الإنسان في الكتب من غزل وغيره لا يكفي وحده ليجعل منه شاعراً يسيطر على جميع جوانب الشعر وعدّته ، وإنما يحتاج الشاعر أيضاً إلى مصادر للإلهام من طبيعة وحبّ وجمال لكي ينطلق في محاريب الشعر بصورة عفوية مع البواشق والنسور»(٣٤) .

وعلى الرغم من القصائد الغزلية التي جمّعها في ديوان لم يطبع حتى الآن (أسماها مرّة باقة من ورد ، وأخرى صوت الحب)(٣٥) وقصائد وطنية وقومية

خاطب فيها الكويت وثورة الجزائر التحريرية[٣٦] فإننا لا نشعر بصدى كبير لشاعرية فاضل خلف وهذا يؤكد أن الشعر لم يقدّم أسراره بَعْدُ ! !

حانت المصالحة وانطلقت القصائد في مروج تونس وغاباتها وعلى ضفاف نهر أخّاذة مشاهده ، ولقد أسمى صديق لـ (خلف) هذه الحالة ولادة ثانية للشاعر أو هي الولادة الحقيقية[٣٧] . واشتمل ديوان (على ضفاف مجردة) على خمس وأربعين قصيدة ، اثنتان منها في الكويت قبل سفره ، وسائر الديوان من نفح زمن الإقامة في تونس من ١٩٦٢م إلى ١٩٧٣م ، ثم تدفقت الأعمال الشعرية بعد عودته إلى موطنه الكويت ١٩٧٦م .

ترتب على هذه العلاقة أمران خطيران :

ـ أولهما : أن الشاعر فاضل خلف لم يقوَ على حذف وتعديل ـ فيما يبدو لنا ـ في قصائده ، ولا بد للشعر من ترجيع النظر الذي لا يغيّر طبيعة الدفقات وملامحها وإنما يحنو عليها بلمسات أو يرفع كلمات تعيق تحليقها وائتلافها في تناغم الموقف .

ـ وثانيهما أن الشاعر ترك للشعر عنان الحركة في كل اتجاه ودرب فنراه شارداً في طرق نائية أو لا ترتفع إلى سمت الشمول في التجربة الشعرية .

إن القارئ لأشعار فاضل خلف يجد جميلاً ورقيقاً ويلتقي بنفحات عميقة في إطار بنية شعرية لم تخالط شعر التفعيلة وإنما استفادت من شعر البحور وتطوره بعد مرحلة الإحياء في الدلالات وظلال رومانسية ، ويتمنى هذا القارئ ـ الناقد لو أن صاحب الأبيات فسح لها السبل ورفع عقبات هنا أو هناك من مرابعها .

## آفاق ودوائر في دواوين فاضل خلف :

مطالعة عناوين القصائد في دواوين فاضل خلف تمنح انطباعاً أولياً يمهّد لتعرّفنا الدوائر التي طافت فيها الدلالات والأخيلة ، ومن ثم يأتي التعايش مع الأعمال بعد استقراء شامل : ضم ديوان (على ضفاف مجردة) خمساً وأربعين قصيدة هي :

«شوق وذوب ، بطل من المغرب ، نفحة الصحراء ، حديث المجد ، الفجر الجديد ، شمس الفنون ، فاتح القمر ، الذكرى الخالدة ، درة الصحراء ، بعد ألف عام ، روّاد الفضاء ، الفردوس المفقود ، ربة الدر ، الجندي المعروف ، نهر مجردة ، الفكر والموت ، وديعة مدينة سالم ، على ضفاف مجردة ، يا صائغ الألحان ، يا حائر النفس ، العيد والربيع ، الشاعر والربيع ، خفقات قلب ، سيري ، إقبال في محراب قرطبة ، الإنسان وعالم الغد ، شروق ، هوى الصقر ، كوكب مانع ، أرض البطولة ، نفحة النيل ، دفقة من شعور ، هدية ، بلاد اللآلي ، جبل طارق ، نهضة الشباب ، شهيد مؤتة ، هجرة البلبل ، ليست كلمة رثاء ، أنشودة ، تونس الخضراء ، شهيد بدر ، ساحة المجد ، رفيق النصر ، الورقات التونسية» .

وبلغت قصائد ديوان (٢٥ فبراير) عشراً ، ولدى مطالعتها يتبين أن خمساً منها جديدة والخمس الأخرى هي مختارات من قصائد ديوان (على ضفاف مجردة) ، أما القديمة فهي : أنشودة في مسمع الزمن ، وكان العنوان السابق يقتصر على (أنشودة) ، ودرة الصحراء ، ودفقة من شعور ، ويا صائغ الألحان ، وربة الدار .

وأما ما أضافه من جديد شعره فهو «٢٥ فبراير ، حنين أو القصيدة المطرّزة وربوع السلام ، وهذه الأرض ، ومهرجان الحب» .

ونطالع في (كاظمة وأخواتها) خمساً وثلاثين قصيدة هي :

«شيخ العروبة جابر ، سعد الخير ، الخليج ، الشباب بين الأزهار والإنسان ، الشاعر ، منبع الحنان ، بناة المجد ، أشواق ، حلبيات ، جمال الدين الأفغاني ، كوكبنا الصغير ، الهجرة ، إلى الحجيج في عرفات ، سلام على مصر ، مصر ، يا شباب الكويت في كأس العالم ، في ذكرى طاهر الطناحي ، باق على عهدك يا تونس ، الفكر ، يا أولي الأمر ، طائر البشرى ، مكارم الأخلاق ، مفدي زكريا ، نفحات ، موعد مع العيد ، الأذن تعشق ، رمضان ، شهر الصيام ، لو عدت ، اللؤلؤ ، الصّلح ، الحياة ، مجلة الفكر» .

١ ـ تحمل الدائرة الأولى عنوان : أشعار للوطن يجمع فيها الشاعر خيوط

الماضي لتغدو مجدولة مع حاضر لا ينسى خطوات المستقبل وقد بلغت القصائد سبعاً وعشرين توزّعت على ثلاثة محاور :[٢٧]

أ ـ تناول فيه الشاعر أفراح الوطن بأعياده ، ونراه مشاركاً بهجة العزّة ، ويقدم صورة رقيقة للعلاقة الحميمة بينه وبين الأرض وأهلها والنشوة الغامرة ، ثم يستدعي تجارب الأسلاف في سعيهم وراء الرزق في البحار البعيدة ، وأخطار احتملوها ، وفي سواعد ذادت عن حياض سلمت حتى غدت دياراً ترفل بالثروة ، ويبعد الشاعر في رحلة التاريخ حتى يصادف جيوش الفتح الإسلامي بقيادة خالد بن الوليد في (كاظمة) ، بل نجده يشير في لمحة سريعة إلى الإسكندر الذي أقام مدّة في جزيرة (فيلكا) الكويتية وكانوا أطلقوا عليها اسم (إيكاروس) تيمّناً بموضع في بلاد اليونان . فمن قصيدة (يا صائغ الألحان) نقرأ :

**يا صائغ الألحان في السحر**
**هذي الكويت تميس في الظفر**
**بلغت من الأمجاد ذروتها**
**وسمت بذكر غير مندثر**
**في كل ركن صار مزهرها**
**يشدو بلحن الحسن والصور**[٣٨]

لقد كان (خلف) يضمر ـ في اقتران نظراته بين الأيام الغابرة وما يراه من نعمى ـ فكرة استمداد العنفوان لاستمرار المسيرة على إيقاع القوة ، مع تآزر وتعاون يشكل السور الحقيقي في وجه الخطر ، وقد أشار الشاعر في أبيات طريفة إلى التحول من زاوية تحمل دلالة بين جنباتها :

**أين أمجادك يا لؤلؤ أين**
**يوم أن كنت حديث المشرقين**
**يتجلى صيتك الطائر في**
**أفق المجد وهام المغربين**
**ورجالات الخليج المزدهي**
**طيّروا أعلامهم في الخافقين**

وأتى النفط غزيراً دافقا

فغدا صيتك رسماً بعد عين

لا ترى إلا بجيد امرأة

أو سواراً زاهياً في المعصمين

هكذا الدنيا وهذا حالها

منذ أن أفنت بساط الأخوين[39]

ب ـ وقد جعل الشاعر المحور الثاني حديثاً اتجه فيه إلى شباب الكويت سواء في أبيات سريعة ضمن قصائد ، أو في أعمال خصّصها للجيل الصاعد وهو ينقل إليهم خلاصة خبرة الأجيال ، بل إنه يتابع نشاطهم الرياضي في ملتقيات عالمية ، ويبدو لنا تجدد الروح عند فاضل خلف فهو يقول تحت عنوان (نهضة الشباب) :

ولّى زمان كان فيه رجاله

يتفاخرون بدرهم وبدانق

فضحت أساليب الجهالة عندما

برح الخفاء وجاء دور حقائق

المجد للعلم الرفيع فإنه

فخر العقول وحلية للناطق[40]

ثم نجده يتابع المباريات ويهدي اللاعبين أشعاراً يبدؤها من الملاعب ثم يعرج على بلاد الأندلس فالموقع كان في (مدريد) :

لقد رفعوا اللواء بكل أرض

فأضحى الرأس مرفوع الجبين

فهم فخر البلاد على مداها

إذا افتخرت شعوب بالبنين

رياضيون في لعب وروح

وأهل الفوز في دنيا ودين[41]

ج ـ وأفرد (خلف) المحور الرابع من هذه الدائرة للاحتفاء بشخصيات هي رمز للوطن في ملامحه المتعددة والمتلاقية ، فوجّه ثلاث قصائد واحدة لأمير البلاد

جابر الأحمد الصباح ، والثانية لولي العهد سعد العبدالله الصباح والثالثة كانت وفاء للشيخ عبدالله السالم الصباح الذي تحققت على يديه حرية الكويت واستقلالها ونهضتها الثانية في العصر الحديث .

ووقف الشاعر مع اثنين من رموز الأدب : فهد العسكر وصقر الشبيب ، ولعل من أجمل شعر فاضل خلف قصيدته (هجرة البلبل) وفيها خطاب إلى فهد العسكر وهو يرفل في النعيم ثم نسمع كلمات الشاعر تنقل إليه أحوال الوطن المزدهي ، وكان العنوان معبّراً يومئ إلى واحدة من أشهر قصائد فهد العسكر (البلبل)(٤٢) .

٢ ـ والدائرة الثانية تمثل فيها الحضور العربي وقد شارك فاضل خلف في هذا المنحى أدباء الكويت الذين حملوا العروبة في أفئدتهم وسعت قصائد منذ العشرينات (١٩٢٩) تنادي بالحفاظ على الحق العربي في فلسطين وتحذر من مغبة التهاون والتغافل وتتابعت أسماء الشعراء عبر أجيالهم (خالد الفرج ، صقر الشبيب ، أحمد السقاف ، أحمد العدواني ، عبدالمحسن الرشيد ، خالد سعود الزيد ، علي السبتي ، خليفة الوقيان ، محمد الفايز ، يعقوب السبيعي . . سعاد الصباح . . جنة القريني . .) وهم يستنهضون الهمم مع الأحداث والقضايا التي تتعاظم في تقاطعات الزمن ورغبات الانعتاق والبحث عن دور حضاري لهذه الأمة العربية في شتى أرجائها ، وداعبت أحلام كثيرة العيون وتكسرت نصال فوق النصال ألما ، وقد استوفى الشاعر والناقد خليفة الوقيان جوانب من هذا التفاعل في دراسته «القضية العربية في الشعر الكويتي»(٤٣) ولم يقتصر الإسهام على كلمات الشعراء ، وإنما نجد القصة والرواية تحملان هذا النبض في إنتاج فهد الدويري وسليمان الشطي وإسماعيل فهد إسماعيل ، وآخرين من أدباء الكويت(٤٤) وشهدت صفحات أن المدن وأرياف الشام ومصر وتونس كانت مغاني إلهام وساحة لتجارب شعرية وأدبية روائية ، ولعل كلمة توجز هذه الحالة وهي أن الكويت قلب اتسعت حناياه للأمة وللوطن الكبير .

تحمس فاضل خلف مع نضال الشعب في الجزائر ، وعايش القضية الفلسطينية ، واستعاد كفاح تونس ، وأسعده النهوض العربي ومعارك برق فيها

انتصار ، وظلت الأرض العربية مغنى له يستلهمه وتهتز معه جوانحه ، فترددت مصر ودمشق والجزائر وتونس وبنزرت ومجردة والخليج بين أنفاس قصائده .

نقرأ من أبياته في (أرض البطولة) :

حي البطولة في الجزائر حيّها
بنشيدك الحر الجميل المبدع
واكتب بنور القلب أروع قصة
وقف الزمان حيالها بتخشع
هي قصة قد سطّرت صفحاتها
سيراً لأمجاد النضال الأروع
.. فمن السجون الحالكات تفجرت
حرية الدنيا بعزم أروع
وتأوّه الجرحى نشيد خالد
يسري بأفق العالم المتفزّع
يستنهض الأحرار ضد مجازر
دموية وسط الحمى المتمنع[٤٥]

وتظل الشعلة تتوقد في نفس الشاعر على الرغم من توالي الزمن فتسمعه ينشد في ديوانه الثالث في تسعينات القرن العشرين والغضب يغلي ويودّ لو تحوّلت كلمات من حروفها إلى الدروب تسعى فيها إلى الأرض والمخيمات :

أصلحٌ والمرابع تستباح
وسلمٌ والجراح هي الجراح؟
ومن حرب مسعّرة ضروس
إلى سلم توشّيها الأقاح
وللدم في مرابعنا ضجيج
وللشهداء ألسنة فصاح
وأروقة الخيام ممزقات
ولكن بينها همم صحاح

تمر بهـــا الشـــدائد وهي تســـمـــو

فلم يخــفض لعـــزمــتــهـــا جناح[٤٦]

ونلحظ تلوين قصائده من موقع إلى آخر فهو يخص البحرين بقصيدة (بلاد اللآلي) فنراه يبسط التاريخ المشترك في هموم البحر وعناء الرجال في مقارعة الموج وأسرار أعماقه ، ويومئ إلى الإرث الشعري مع طرفة بن العبد[٤٧] .

٣ ـ وفي الدائرة الثالثة نرى الشاعر يعود إلى التاريخ العربي الإسلامي ليستكمل الحديث الذي أداره في الدائرتين السابقتين ، فهو يلجأ إلى التذكار من حيث هو استمداد للنفحات المضيئة للروح والقلب ، وقراءة للخطوات في معارك وأفق للعزيمة والعلم ، لذلك جعل فاضل خلف وقفاته مع المولد النبوي وذكرى الهجرة ، ومع وقائع بدر ومؤتة ومع رجال في تاريخ الأندلس ومواجهة الفرنجة (المنصور بن أبي عامر ، ويوسف بن تاشفين) جعلها ذات وجهين لا يكفّان عن الدوران أمام المتلقي المعاصر وهي الماضي وهذا الحاضر المثقل بهمومه ومطامحه الحبيسة فمن قصيدة (الذكرى الخالدة) :

إيه رســـول اللـه تـلك جـــدودنـا

كـــانوا مـــصـــابيح الهـــدى النفّـــاح

كـــانوا أســـاتذة العـــصـــور بعلمـــهم

شــــــهــــــدت بذاك روائع الألــواح

فـــاغـــفـــر لنا نحن الذين توقـــفـت

عـــزمـــاتـنا عـن غــــدوة ورواح

في حين أن الغـــرب قـــد ملّ الثـــرى

مـن بعــــد نـصـــــر بـاهـر منّاح[٤٨]

ولا تخفى الهزة التي تخالط شعرية فاضل خلف وهو يعود إلى إشراقات في التاريخ ، فنجد خفة الحركة وامتداد النفس ، وحميمية الحضور القريب كما في أبياته حول (جبل طارق) :

صـــرحٌ مـــدى الأزمـــان نـاطـق

يـروي أقـــاصـــيص البــــواشق

يروي أقاصيص العلا

والمجد من أيام طارق

ويحدّث التاريخ في

صحف مطهرة نواطق

صحف تشامخ مجدُها

فتعطرت زهر المناطق[٤٩]

ومما يلفت الانتباه الهوى الذي انتشر في أعماق فاضل خلف ودار حول الأندلس والمغرب سواء في أشعاره أو مقالاته ورحلاته المسجلة في عدد من كتبه إضافة إلى دراسته للموشحات[٥٠] .

٤ ـ أما الدائرة الرابعة فيستحضر فاضل خلف شعراء يحاورهم أو هو ينور إبداعهم في مسار الشعر العربي ، وتبدو لنا دلالة هذا الجانب في جانبين أولهما الرغبة في التواصل مع الشخصيات الشعرية والأدبية والفكرية طلباً لاكتمال الرؤى بمعايشة أصحاب التجارب والمواقف ، ولعلنا نؤكد هذا عندما نتصفح مراسلاته مع عدد مدهش من الأدباء والمثقفين العرب في مشرق ومغرب عبر سنوات طويلة ، وقد نجد بعضها يدرج ضمن المجاملة لكنها بمجملها معبرة عن درجة من درجات الاتصال والتواصل ، وهنا لا ننسى أن هاجس الريادة والدخول في الأفق الأدبي العربي مما حمّس فاضل خلف في مسعاه[٥١] ، والجانب الآخر هو توصيل هذا التعدد والتقابل بين الشعراء وطرائق الإبداع والفكر لديهم إلى المتلقي فلعل نوافذ تتفتح أمامه .

تتوالى شخصيات المتنبي ، وإقبال ، وأحمد شوقي ، والعقاد ، عبدالرحمن شكري ، والشابي ، والسيّاب ، وطاهر الطناحي ، ومفدي زكريا ، وعبدالله العتيبي ، وفهد العسكر .

ولعل وقفته مع المتنبي في الذكرى الألفية فيها طرافة ورؤية لمكانة الإبداع في الحياة سواء العصور القديمة أو الحاضرة أو تلك التي تبزغ مع الأجيال :

تفنى القرون وأنت خالد

يا منشد الغرر الفرائد

يـا نـاظـم الـدر الـنـضـيـ
ـد وصـانـع الحـكـم الخـوالـد
.. قـل لـي أبـا الأطـيـاب كـيـ
ـف سـهـوت عـن تلك المشـاهـد؟
فـضـربـت في الآفـاق تنـ
ـشـد ضـيـعـة تغني الخـرائـد
وتـكـبّـل الـشـعـر المحـلّـ
ـق بـالـقـيـود وبـالمصـايـد
كـلا فـمـا للملك حـقّـ
ـاً كـنـت فـي الـدنـيـا تـطـارد
.. لـو نلـت حـقّـاً ضـيـعـة
مـا كـنـت لـلأمـجـاد والـد
ولمـا شـغـلـت الـنـاس ألـ
ـفـاً مـن سنـيك وأنـت راقـد[٥١]

٥ ـ وفي الدائرة الخامسة نجمع عدداً من الزوايا تأتلف حول التأمل في الطبيعة والكون والخروج من الحالة المألوفة أو المعيشة ، إن النفس تفزع في طرف إلى العقل في سبره للأغوار وبحثه عن مسار نطمئن إليه ، وقد تذهب نفوسنا إلى طرف آخر وبعيد يسلم القياد إلى حدس أو ما هو منه بسبب .

يتأمل فاضل خلف منجزات العلم في تسارعها وآفاقها التي تبدو مفتوحة ، وقد تجاوزت نظرات الشاعر الإعجاب والدهشة إلى تطلع يتجاوز رؤيتنا القريبة الواقعية ، فهذه الخطوات ضرورة لأنها بعض من قسمات الغد الآتي باحتمالاته وحاجات فيه لا تسعفها أحكامنا المحدودة بيومنا الذي ندبّره لأنفسنا ، ولا نتيح لأجيال كوىً مفتوحة وذراعاً قادرة ، ومن قصيدة (فاتح القمر) نقرأ ؛

«يازورق الســحـر وقـيـت الـونـى
إلـى الـثـريا رغـم مـن يـقـدح
إن قـيـل يومـاً لـمَ هـذا الأذى؟
وذلـك المـال الـذي يـسـفـح؟

الأرض أولى بتجاريبنا
فمالنا في غيرها نكدح
.. قلت من الأعماق مهلاً ففي
تلك التجاريب لنا مربح
لولا التجاريب لما أزهرت
حضارة في أرضنا تصلح
الفاتح الجبّار إن لم يجد
في القمر الوهّاج ما يمدح
ففي الغد الباسم قد نلتقي
بكوكب فيه المنى تنجح ..»[٥٢]

وتندرج في هذا الجانب قصائد (روّاد الفضاء، كوكبنا الصغير، الإنسان وعالم الغد)، وهناك زاوية نرى فيها الشاعر مع الطبيعة والشعر والإلهام (نهر مجردة، الشاعر والربيع، العيد والربيع، الشباب بين الأزهار والإنسان، الحياة، الشاعر).

وثمة ثلاثة أعمال طريفة؛ واحدة يخاطب فيها جدته بعد رحيلها يستعيد ذكريات الطفولة وطمأنينة مبهجة تحيطان بها، ويروي لها أن الخير يعمّ الديار، وهنا نذكر حواره مع أطياف الشاعر فهد العسكر والقصيدة الثانية تحدث فيها عن المعلم أو كما أطلق عليه (الجندي المعروف) والثالثة مترجمة عن الشاعر الإنجليزي هارولد فيلدنق هول بعنوان (ساحة المجد).

لقد آثرت أن أترك للهوامش إحصاء القصائد التي اشتملت عليها الدوائر، ولعل الرجوع إليها يعين على درس نقدي تفصيلي وتحليلي، واكتفيت بإشارات ولمحات[٥٣].

ولابد من ذكر أمرين يستكمل بهما هذا العرض المجمل لآفاق الدواوين وهما: أن فاضل خلف لم يكن يؤرخ قصائده ولذلك يضطر الدارس إلى الاستنتاج من خلال علامات في النص الشعري وأحياناً من خارجه عند الاطلاع على الصحف أو المجلات التي نشرت فيها أشعار، أو الاستفادة من تهميشات أو

مقدمات لمن عرفوا الشاعر كما في مقدمة ديوان (على ضفاف مجردة) .

ـ والأمر الآخر هو غياب المرأة المحبوبة أو التي عرضت لها قصائد الغزل ، وعرفنا من الشاعر وأخباره أن ثمة ديواناً لم يخرج إلى النور فيه باقة من أشعار الحب ، واللافت للنظر أننا نصادف قصيدة (ربة الدر) في ديوان (على ضفاف مجردة) وقصيدة (مهرجان الحب) في ديوان (٢٥ فبراير) وهو العيد الوطني لاستقلال الكويت ، وفيهما مفاتيح دلالية لحديث الحب لكنها حققت التماهي بين هذا الشاعر والوطن . فهل كانت بديلاً أو توحّداً لرمز الحب لرمز الوطن وهنا يتسع المدى ويتضمن في حناياه الكل مغنياً عن الحالة الفردية؟[٥٤]

## القراءة النقدية لشعر فاضل خلف :

يقتضي الإنصاف من القراءة النقدية لأعمال فاضل خلف الشعرية أن نضعها في سياق متطور للمدرسة الإحيائية العربية ، فهي تظل في إطار البحور وإمكاناتها وتكتسب من صاحبها رؤية وثقافة ، وعلى الرغم من بعض المحاولات في صيغ قريبة من الموشح أو في تشكيل القصيدة في مقاطع تتعدد فيها القوافي وحروف الروي فنحن نجدها لا تخرج عن النمط الأساسي[٥٥] الذي يحتفظ بجماليات قادرة على التوصيل ولقاء القراء ، ولا تتداخل بتجربة شعر التفعيلة .

وثمة تأثير للسردية في عدد من القصائد جعلت مواضع فيها تبتعد عن التكثيف الشعري ، وتخلّف بروداً وألواناً باهتة ، خاصة عندما تنزلق القوافي لملاحقة هذه السردية ، ويخف بطبيعة الحال التوتر بتطاول الجزئيات الهامشية .

إننا اخترنا منهج العرض ولكننا من جهة أخرى نقدم قراءة في إطار إمكانات هذا اللون من الشعر العربي وتدور حول قصيدة فاضل خلف : مهرجان الحب ، والحوار النقدي إنما يغنى بالكلمة التي تتموضع ومن ثم تتحرك الرياح في الاتجاهات كافة ! !

# تجلّيات الوطن في عيون فاضل خلف

ختم الشاعر فاضل خلف ديوانه (٢٥ فبراير) بقصيدة (مهرجان الحب) ، ولعله أراد أن تحمل رسالة تختزن كثيرا مما في هذا الديوان الذي أفرده للكويت الوطن والأهل ، ففي الأبيات تتوالى وجوه تتماهى مع الذات ويتقاطع المكان وسلسلة الأزمنة ، ويتفاعل الرمز وقسمات المواقع ، ونلحظ استشرافا للآتي من الأيام مع الأجيال الشابة ، كل ذلك تضمه قصيدة تبدو لقارئ حداثي مألوفة ما دامت تنتظم أبياتها وقوافيها ، ويتردد في أن يعطيها هذا القارئ ـ الناقد حظا موفورا من التميز ، فهو يفتش عن أوعية لغوية وأسلوبية حديثة تعلن عن نفسها قبل دخوله في سبلها ومنعطفاتها ، ونشرع بدورنا في قراءة تبرز ملامح الشعرية المتواصلة مع جمهور يتلقى تشكيلات غنية لرؤية طريفة وغامرة .

إن هذا اللون الشعري المعاصر (قصيدة البحور) يتصل بآصرة النسب الواضحة بالنزعة الإحيائية وأجوائها التراثية ، ولكنه يكتسب من التجربة والمعاناة مشروعية الحضور والإسهام في تكوين الوجدان لدى المتلقي ، وهذا ما يتأكد عندما نتابع جسورا متينة مع الجمهور القادر على استيعاب وتذوق للغة والصورة واستمتاع بالإيقاع ، ولعل مشاركة التلحين والغناء وسّع الدائرة أو لنقل قدّم البرهان على قيمة تداولية لهذه (العملة) ، ولا نجد درجة الانتشار ـ قراءة أو تعايشا فنيا ـ المماثلة في تجارب شعر التفعيلة خاصة ما أوغل في الإغراب أو الغموض ، وهنا لانسعى إلى الانتقاص من أهمية الألوان الأخرى ، وإنما نلتفت إلى نتاج تهمله الدراسات النقدية المعاصرة على الرغم من طاقاته الحاملة لقيم جمالية ورؤى حيوية ، وعلى الرغم من تحقيقه لشرط يسعى الأدباء ليكتمل وجودهم به وهو التواصل مع الجمهور .

عرف الشعر في الكويت نتاجا ثريا في سلسلة لم تنقطع مع قصيدة البحور ، وكان عدد من الشعراء فرغوا لهذا اللون سواء في الرعيل الأول مثل خالد الفرج ، والثاني فهد العسكر وعبدالمحسن الرشيد ، ومن الجيل الثالث نقرأ للشاعر سالم عباس والشاعر خالد الشايجي ، وثمة من جمعوا بين قصيدة البحور وقصيدة التفعيلة لكنهم مالوا إلى الثانية كما نرى لدى أحمد العدواني وعند خليفة الوقيان ، وهناك من آثر التفعيلة كما نجد

في أعمال الشاعرة نجمة إدريس .

كتب فاضل خلف القصة القصيرة وأصدر مجموعته الأولى أواسط الخمسينات ، وتابع ألوان الأدب في دراسات نقدية قصيرة ومطولة وصنف الكتب فيها ، وأسهم في خواطر وأطراف من سيرة الوطن ومعايشته لها ، وعلى الرغم من توقه الشعري فنحن نجد التدفق والامتداد واكتناز الجماليات في آماد تستحوذ القصيدة على صاحبها من غير قسمة أو شراكة مع الأنواع الأدبية الأخرى ، خاصة عندما انقطع فاضل خلف إلى عمل دبلوماسي لسنوات في تونس ، واتخذ طبيعتها ميدانا لمصالحة مع الفن العصي على من يجعله بعضا من الركب ! ! وتعد قصيدة «مهرجان الحب» من أعماله التي يبدو لنا صفاء النفس معينا على نشاط أساليب جمالية بخفاء فيتقبلها قارئها قريبة إليه ، وعند إنعام النظر نكتشف ذاك الإحساس المركب والرؤية الثاقبة لحقائق الوطن وهي تستحيل ذرات ذوّبتها الشمس في الشرايين فغدت إكسيرا يجدد القلب المحب .

**دلالات الوجوه والتخييل :**

تبدو قصيدة (مهرجان الحب) مجسدة علاقة ثنائية طرفها الأول الوطن والأرض ، والطرف الآخر هو الشاعر الذي يملأ الأبيات بضمير المتكلم أو يدور حوله مستعينا بالتفاف أسلوبي ، وقد تشدّنا محاولة التماهي بتتابع حوار المحب بين الشاعر والمحبوبة التي هي : الوطن ، لكن طاقة التخييل رسمت في هذه القصيدة أبنية رمزية في محاور تتلاقى في أصل كينونة مشتركة نرى فيها الوطن يتماهى مع صورة الأسرة الواحدة تنهض بأعباء الحياة بأجنحتها ، فالشاعر وإن يكن انفرد بالخطاب إلا أن جوهر هذا الكيان كان يغلي في نبضه ، وتجلّى وجوها متعددة ومآلها واحد ، وسنرى كيف أفاد في بنية الصورة وهي تساير الحركة بين الأرجاء ، وكذلك في اشتباك لخيوط النسيج في السطور ، ومما ساعد على تمايز كل وجه من الوجوه ثم اكتماله مع الجوانب الأخرى ذاك التوظيف للدلالة بكثافة الحضور وإيقاظ الإشارة في الكلمات ـ الرموز .

إن التطور في مسار القصيدة ، وتشكّل المحاور جعلها في تحليلنا مقسمة إلى أربعة مقاطع هي : المقطع الأول من (١) إلى (٩) ، والمقطع الثاني من (١٠) إلى (١٩) ، والمقطع الثالث من (٢٠) إلى (٣١) ، والمقطع الرابع من (٣٢) إلى (٣٨) .

تتعالى أنشودة الحب في المقطع الأول ونلمح الشاعر يطلب الوصل من هذه المحبوبة التي لم يسمها واكتفى بضمير الخطاب ، وتبدّت نفحات الغزل الذي تخفق فيه الجوانح واختصرت الدنيا في صورة من ملكت الفؤاد فماؤها هو العذب وتغيب الغدران لأن حنانها وحده يحيي نسغ الوجود .

وقد بدأ الخطاب من خلال علاقة تقارب بين الفتى المحب وتلك التي تسمو في شاهق الأفلاك ، لكننا نلحظ أن فاضل خلف جرّد شخصا من ذاته ليسلط الضوء عليه زيادة في إبراز حاله من أكثر من زاوية فنراه أمامها من طرف بعيد ثم يتلقف الكلمات وينطلق بدوره بضمير المتكلم فتتغير زاوية المشهد :

**ضمّي فتاك فإنه صبٌّ**
**كلُّ الجَوانح للهوى نهبُ**
**ظمآن والغدران دافقة**
**لكن وردك وحده عذبُ**
**** خبت العواطف غَير واحدة**
**في قلبي الحساس لم تخبُ**

وعند قراءتنا للبيتين التاسع والعاشر تتكشف قسمات هذه التي تيمت القلب وأرّقت لياليه في دروب بعيدة يحثه شوق لا يستكين إنها الكويت وههنا نعود أدراجنا لنفسر بعضا مما سمعنا من نجوى العاشق :

**جوّاب آفاق يؤرقه**
**ليل المحبّ ويؤلم الدرب**
**أرض الكويت وأنت فاتنتي**
**لم يثنني بعد ولا قرب**

إن معاني الخلود والبقاء على الرغم من الموت الجسدي تتوهج مع تطابق

المحبوبة والديار ، وإن حب هذا المتماهي في ذات تحمل ظلال الأبدية يجعل عمره يذوب فيها ، وهي باقية مع توالي مواكب المحبين الذين يقبسون منها ضياء ويصبون الهوى زيتا في سراجها الباقي .

إن الشاعر فاضل خلف رأى الوطن وجها للمحبوبة في صلة سامية متفردة ، وهو هنا يتمثل في آن حالين ؛ الأولى ما يكون من إحساس الإنسان بخصوصية لا تتحقق في أي أرض غير هذه الأرض ، وههنا يشكل تملكه المطلق للطبيعة ثم لأطياف ذكرياته وأحلامه في شموخ أو حزن أو أسف ويدير بلورة سحرية يعبق محيطها ببخور هو صانعه ، إن ذروة الحب تحول المحبوبة إلى كائن متوحد في الذات منذ الولادة (تشكلت من ضلعه ! !) فهي أهل بنسب الدم مثلما هي إرادة الحب التي جمعت بين الأعين والأنفاس .

والحال الأخرى هي أننا نجد أنفسنا في تفاعل يحملنا على رؤية هذه الغالية ؛ لأنها الوطن الذي يضمنا ، وندرك أن كلاً منا إذا صفا درب أعماقه رأى ما رآه الشاعر وتجلت له آلاء السحر لنبض لا يخبو .

لعبت الدلالة دوراً واضحاً في شحن الموقف الذي اكتمل في المقطع الأول فثمة دائرة بمجموعة دوالّ انتشرت وملأت الأفق أمام العين ونسجت لوناً اشتجر مع حركة الشاعر ولا يسع القارئ إلا أن يبحث عن أصداء هذه الدوال ومرجعياتها . إن دائرة الحب بلغ ترددها ثلاثا وثلاثين مرة وتركزت في المقطع الأول واندياح بعض منها في المقاطع الأخرى :

«ضمّي ، حننت ، لهف ، صبّ ، الهوى ، العواطف ، الحساس ، حبك ، الغالي ، أهل العشق ، أرباب الهوى ، حنانك ، حباً ، عاطفة ، ليل المحب ، صفو الحب ، الحبّ ، الجوانح ، قلبي ، خفقات ، قلوب ، فاتنتي ، الحبيبة ، الفؤاد ، الشكاة ، العَتب ، الجفاء ، شرع الهوى ، الحب قدر ، الحب قطب» .

كان الحب نغماً تعددت إيقاعاته بحسب تجلي الوجوه فالمقطع الثاني يبدي ـ من خلال مفاتيح دلالية توزعت بين أرجائه ـ صورة الأم التي تحنو على أبنائها جميعاً وتغدو الكويت منارة يبحث الشاعر في مغتربه عن ضيائها ليروي ظمأ استبد به ، ويسمو الحب جوهرا فوق الشكوى والعتاب حتّى الجفاء لا يقدر على

حجب قسمات باهرة حفرت في الشغاف مصاحبة وجيب القلب . تقدم المفتاح الدلالي الأول (أرض) مضافاً إلى (الكويت) وهنا تنفتح طاقات الاحتواء وتجدد دورة الحياة الكونية في فصولها وتوالي رحلة الشمس ، ثم نجد التكرار مرة أخرى (أرض المحبة) ويركز الشاعر على النبع المتدفق منها ، ويشير إلى توافق العطاء في سمو بين هذه الأرض ـ الأم والسماء في جلال وإحاطة تتكامل وتغمر أبناءها ، فيعزز المفتاح (الغيث) وتوابعه (منهمر ، غمر ، السحب) خصب هذه الأرض :

**فالغيث ذو الريحان منهمر**
**غمر البلاد ولم تنِ السحبُ**
**وتنزّلت بركاته فإذا**
**هو وابل فتبارك الخصبُ**

وتأتي خاتمة المقطع بالمفتاح الدلالي (الخصب) ليعمق دلالة قدرة الوطن على منحه أبناءه رحيق الاستمرار ، فهم موصولون به بآصرة جامعة للروح وللملامح توحد أبناء الأم التي لا تنسى أنفاسها الدافئة .

استطاع الشاعر فاضل خلف الانتقال بالعلاقة من الوجه الأول إلى الوجه الثاني : الأم بحركة ذكية إذ أشار إلى الأبناء الآخرين الذين ينعمون بعطاء تقدمه هذه الأرض فهو هنا واحد من المجموع وتجلت شخصية جامعة لهم في فضاء هو هذا الوطن :

**أرض المحبة سامحي فلقد**
**ظمىء الفؤاد ومسّه جدب**
**ولئن ظمئت أنا فما ظمئت**
**فيك الجموع وما غفا الشّرب**

ومن جهة أخرى نتابع تحولات دلالة الحب من التفرّد في الوجه الأول إلى حب آخر يتميز باتساع يضم بين حناياه كل الأبناء فبعد قوله «أنت الحبيبة» و «فإنك الحب» ، يأتي قوله «أرض المحبة» فترتقي من الذات إلى شمول وانطلاق ولذلك تترَقب «الجموع» الخصب والبركة فيه ويبرز الدالّ المؤكد العلاقة الجمعية في صيغة (البلاد) : فالغيث . . . غمر البلاد ولم تن السحب .

أما الوجه الثالث في تجليات الوطن عند فاضل خلف فلقد جاء يحمل ملامح الأب مع بدء المقطع الثالث في صيغة المذكر (وطني) :

وطـــــنـــــي لـــــواؤك طـــــائـــــر أبـــــداً
هـو والبـــــواشق والعـــــلا ســـــرب
وبمجـــــدك الشـــــادي قـــــد ازدهرت
بيض الصـــــحـــــائف وانتـــــشت كـــــتب
وبـنـوك مـن أيـام كـــــاظـمـــــة
خطواتـهم نـحـــــو العـــــلا وثـب

وهنا ترتفع الذراع القوية التي تحمي الأرض والأم والأبناء ، ويأتلف التاريخ - في مراحله المتعاقبة وما حفلت به من أزمات ومخاطر - مع العصب الذي يعطي الأسرة اسمه ويمنحها تسلسلاً للأجيال ، فالرأس والقيادة تبرزان مع هذا الأب وما اكتسبه أبناؤه من سطوة حفظت الديار ، ومن شمائل أعطت الوحدة النوعية لهذه المجموعة المشكلة وطنا .

أتى الشاعر على ذكر وقائع حاسمة في تاريخ الكويت منذ حاربت جيوش الفتح الإسلامي على هذه الأرض وكانت تعرف باسم كاظمة ، ثم في موقعة فاصلة أكدت استقلال هذا الوطن وجدارة أبنائه بكل ذرة من ترابه عندما توحد الشعب والقائد في (الجهراء) .

إن هؤلاء الرجال دعاة حضارة وعيش آمن ، لكنهم يعرفون قدر الشهادة التي تضمخ تراب الآباء والأجداد بالدم ، ومن سواد الليل وضياء نهار قادم يضفرون سيرورة حياة تاجها الكرامة :

هـبّـــــوا فـكـان الـنـصـــــر رائـدهـم
فـــــهمُ بآفـــــاق الـهـــــدى شـــــهب
شـــــهـــــداء قـــــد روّى الثـــــرى دمـــــهم
فـــــســـــمـــــوا به وتســـــامت التـــــرب

وأما الموقعة الأكثر عنفا وحدة في زمن امتد لا يهدأ في فصوله ودوران الأفلاك فهي التي نشبت بين رجال الكويت وبحار الدنيا ومع ذلك نلحظ الشاعر فاضل

خلف يشير إليها إشارة مدهشة .

أخت البـحـار تدفـقي درراً
فمن البـحـار تدفق السكب
وبنوك بين ميـاهها قممٌ
ما صدّهم شرق ولا غرب
وعلى صدور الموج ملعبهم
ومع العـواصف كلهم صحب

إن تعبير (أخت البحار) على الرغم مما فيه من ألفة وسلام بعيدين عن الخصومة والتصادم يكشف عن انفضاض تلك المعركة الطويلة بين الأمواج العاتية ووحوش الأعماق والرياح التي تعصف وبين الإنسان الخارج من أرض الكويت . لقد رأى الشاعر ندية بين تلك القوى الشرسة والجبارة وهؤلاء الرجال . إن هذا التناظر والنسب إنما أعطته التجارب فاعتدل الميزان بعد أن انتزع أصحاب الهمة الجدارة من بين أنياب كاسرة .

لقد جمع الشاعر في هذا المقطع مفاتيح دلالية ركزت على الأب (وطني) في صيغة المذكر والضمائر المؤكدة (لواؤك/ بمجدك) وأبنائه (بنوك) وقرن بهذا مفتاح (البواشق) وهي طيور جارحة قوية تعمق القدرة والرجولة وعاد في حديث البحر إلى الأم / المرأة وربط بها الأبناء (أخت البحار/ بنوك) فالتأم كيان تنهض أعضاؤه بمهام الحياة والاستمرار .

إن هذه الجولة للشاعر بين المقاطع الثلاثة حملت الروح عبر الأرض وجغرافية المكان وتعاقب الزمان في تفاعل ينهض من بين أطرافه الإنسان في تكوين اجتماعي حيّ لا يعرف الفتور ولا يصيبه الضعف ، وهكذا تحققت حركة في الوطن ـ الكويت تماهى فيها الكل على نحو سحري على الرغم من أن وقائع تتوالى أمام الأعين فالوجوه تعددت لكنها تؤول إلى قامة واحدة باهرة .

استطاع فاضل خلف أن يستفيد من قدرات التخييل في عدد من المحاور وكل منها تتنوّع درجات توتره : ١ ـ فالبنية الرمزية توالى معها دفق انفعالي رومانسي يتطلع إلى الحبيبة ، ثم تصاعدت الأسطورة الكامنة في الأرض ـ الأم ـ وجاء

بعدها الأب مع التاريخ الواقعي وحقائقه وما لبثت هذه الطبقات أن تداخلت وكلّ يتبادل سمات مع الطرفين الآخرين ، والتاريخ سما إلى أفق الأساطير وغدا بعضاً من الخلود ويندفع إلى الآني والمستقبل ولا يحول دونه البشر من الخصوم لأنه مسطور في سجل الخارق .

٢ـ يبدو في المحور الثاني تركيزه لصور في لوحات التمعت فيها وقائع تاريخ الوطن في الماضي البعيد مع كاظمة ثم في الجهراء ومع هدير البحر ، وكل لوحة التقطت ملامح تتناغم مع السياق ولا تغرق في تفاصيل متراكبة تبعد عن المسار المتأجج نفسياً وفكرياً ، وإضافة إلى ذلك جعل الشاعر اللوحة الواحدة تبدأ بخطاب مختلف : فالأولى تتجه إلى الوطن ـ الأب ـ «وبنوك من أيام كاظمة» والثانية تخرج إلى المتلقي ـ السامع ـ مجردا : «سائل ربى الجهراء عن نفر . .» والثالثة تتوجه إلى الكويت ـ الأم : «أخت البحار تدفقي درراً . . .» .

٣ـ ويبقى أن نلحظ الأرضية المجازية ـ التصويرية ـ للغة الشاعر فهو لم يفرغ لافتراع صور غريبة أو جديدة كل الجدة ، وإنما استخدم مخزوناً من الصور عملت بمجموعها على نقل الأداء اللغوي إلى حيّز التخييل لدى المتلقي بمغادرة اللغة التقريرية والدخول في أرجاء متحركة تتطلب البحث عن علاقات نشطة وهذه المتابعة تبعد هذا المتلقي عن الركون إلى السكون والعبارات المألوفة .

بلغت الصور ستة عشر موضعاً موزعاً على المقاطع الأربعة والتي يخصص الرابع منها لمهرجان وعيد تغمره احتفالية الاستقلال : «كل الجوانح للهوى نهب / ظمآن / خبت العواطف / سكتت خفقاته / ارتوى الركب . . حنانك / تفجري / يؤلم الدرب / قلق الوساد / تجرعت روحي / لواؤك طائر / هو والبواشق سرب / سلم أظلتهم / الخصم . . المرتقى صعب / أخت البحار ترفقي / صدور الموج/ فهم/ شهب / روّى الثرى دمهم / تموج العشب» ، وقد لمعت بعض هذه الصور على نحو طريف كما نرى في التركيب اللغوي الذي جعل اللواء يحلق في سرب مع البواشق والعلا ، ونلحظ الانتقال في المواقع بين اللواء والوطن لأنهما كيان واحد فالرمز هنا يسمح بحلول المرجع مكانه :

وطـــنـــي لـــواؤك طـــائـــر أبـــداً
هـو والـبـــواشق والعـــلا ســـرب

وكـذلك عندما تكتسب صورة «تموج العشب» أبعادا أكثر حيوية باشتباكها بالسياق الذي ارتبط بأخت البحار وأبنائها ، وهنا تزداد الأواصر عبر الصورة بين أحوال البحر وما على الأرض وأطراف البر :

وطنـي وعـــيـــدك باسمٌ غـــرد
زاه فـــحـــسبك رفـــعـــة حَـسْبُ
وافـى وأطيـــار الـربـيـع شـــدت
في رحـــبـــهـــا وتموَّج العـــشب

**جماليات الخطاب والمتلقي :**

لقد كانت المواقف في قصيدة (مهرجان الحب) تحفّز على ركوب موجة التعبير في إيقاع جمله الإنشائية . لكن الشاعر آثر أن يقتصد في الصيغ المباشرة ولجأ إلى امتداد في جمل خبرية تحمل في تضاعيفها خيطاً لامعاً هو أسلوب الخطاب المتناظرة فيه ضمائر التكلم والمخاطبة فاكتسب النص الشعري القيم الجمالية للإنشاء في بؤر أو مرتكزات محددة ، وترك المدى واسعا لينداح فيه الإحساس بعمق .

برز الفعل (ضمّي) في موضعين من المقطع الأول ، فقد افتتح الشاعر كلامه به وعاد إليه في البيت السابع ويبدو فعل الأمر هنا طلباً ورجاء في تطلعه إلى المحبوبة لكن عنفوانا يتحرك في داخله إذ تضطرم فورة المحبة وبمقدار ما يضج فؤاده من رغبة التواصل تتوهج الكلمة (ضمّي) وتتكشف هذه القيمة عندما يبزغ المعادل الانفعالي في قوله في البيت الثامن :

وتفـــجّـــري حـــبـــا وعـــاطفـــة
إن الفـــتـى مـــتـــعطش صبّ

وعلى الرغم من غزارة ضمائر الخطاب التي جمعت بين الشاعر ومن ملأت الدنيا أمام ناظريه وجداً (فتاك / وردك / حبك / حنانك / ضمي / تفجري)

فقد ترك فاضل خلف موقعاً للمتلقي يدنيه من تخيل المشاركة أو التناظر في هذه الصلة بالوطن ، وذلك عندما جرد شخصاً آخر يتدخل ويقرّب فالمتكلم هو ثالث يجد المتلقي نفسه فيه مشتركاً وأمامه الفتى ومن أحب :

* ضـــمـي فـــتـــاك فـــإنه صب

كـل الجـــوانـح للـهـــــوى نـهـب

ظمـــــآن والغـــدران دافـــقـــة

لـكـن وردك وحـــــده عـــــذب

** ضـــمـي فـــتـــاك الصب في لهف

لـولا حـنـانـك مـــــا ارتـوى الـركـب

وتفـــجـــري حـــبـــا وعـــاطفـــة

إن الفـــتـى مـــتـــعـطش صب

جـــواب آفـــــاق يـؤرقـــــه

لـــيـــل المحـــب ويـــؤلـــم الـــدرب

إن صيغ الطلب والنداء تبدد الركود والسكون واحتمال الحياد ، وتشيع حركة بين طرفين يشتركان في الموقف تفاعلاً ، أو على الأقل يبدو العزم من واحد منهما ليتجاوز الحواجز أو القيود ، ونحن نلحظ تدرجاً في إيقاع الحوار عندما انتقل الشاعر في المقطعين الثاني والثالث وتوجه إلى الأم ـ الكويت ـ والأب ـ الوطن ـ فقد استعان بصيغة النداء .

«أرض الكويت / أرض المحبة / أخت البحار / وطني»

لما توحيه من إقبال المنادي على الطرف الآخر ولعل الجلال يهيمن هنا بين الأبناء والأهل وعندما يرد فعل الطلب نلحظ فيه الرجاء بل إن الدلالة تشع بروح الأم التي تغفر مهما يبدر من أولادها وهي مصدر ونبع للعطاء «أرض المحبة سامحي / أخت البحار تدفقي دررا» .

تستأثر القصيدة بالمتلقي من خلال الخطاب فيها والتوصل إلى ما يمكن تسميته بالحماسة الداخلية والحميمة ، وهي الأبقى في النفس من تلك التي تتعالى نغماتها فلكل مساحة وإطار ، وهذا ما جعل الشاعر يحوّل الاحتفال إلى

مهرجان للحب تطل فيه وجوه الوطن ونكتشف ذاك التماهي بيننا وبين قسماته .

**إيقاعات بين اللغة والموسيقا :**

تستميل قصيدة (مهرجان الحب) متلقيها المعاصر وتبدو إيقاعاتها تلقائية تنشر بساطة اللقاء على الرغم من أنها تنتظم في شكل شعري موروث ، فكيف تحقق للشاعر هذا القدر في مقاربة الذوق الحديث الذي شاعت فيه الدلالات الجديدة والعبارات الشفهية ـ الكلامية بأكثر من سيادة لغة الكتابة وأساليب المدوّنات . فالجمهور يغتذي من مصادر تقاصرت فيها مقادير الرصيد اللغوي وهيمنت إيقاعات سريعة فيما يلحن أو يملأ المذياع والتلفزة . . . نسأل عن الطاقة الكامنة في هذه القصيدة ، ولعل التعليل يفتح المزيد من مجالات قراءة شعر البحور المعاصر !

إن التيار الأول الذي تدفق في هذه القصيدة استمده الشاعر من تنويعات في الجمل ومكونات التركيب اللغوي ، وفي تناظر بين عدد منها مما ولّد تجاوب أصداء في حيّز زمني لأبيات متتابعة أو تتباعد ويربطها تردد نغمات كلمات أو جمل ، أي أن الشاعر لم يستسلم لرتابة تتهم بها قصيدة البحور وإنما جعل زمن الاستماع والقراءة حيويا متشابكا .

نطالع الشطر الأول في القصيدة (ضمّي فتاك فإنه صب) ثم نجده يتكرر مع توزيع مختلف للدوال وإضافة (ضمي فتاك الصب في لهف) ، ونتابع في البيت السادس تناظرا لسلسلة الجملة في الشطرين :

**فـقلوب أهل العـشق خـالدة**

**وتـراب أربـاب الـهـوى رطـب**

وقبله تتقابل جملتان بين الشطرين (ليس يوقفها موت / ليس يضيرها خطب) .

وفي هذا المقطع نفسه نلحظ التناغم في تكرار الفعل مع تغيير اشتقاقي فيه (فلا سكتت خفقاته أويسكت القلب) وكذلك في (خبت العواطف . . لم تخب) .

ولدى تأمل بنية الجمل في أبيات القصيدة نعثر على توافق في سبعة عشر بيتا

تتقارب فيه مساحة الجملة التي تختم الأبيات فهي قصيرة ، إلا أننا نحس بالفروق الدقيقة مما يبعد سيف الرتابة المخوفة !! (الأبيات ١١ ـ ١٩ + ٢١ / ٢٤ / ٢٨ / ٢٩ / ٣٣ / ٣٤ / ٣٥ / ٣٧) .

«ونابني كرب / وليس لي ذنب / لم يكب / ولابدا العتب / فإنك الحب / فتبارك الخصب / والمرتقى صعب . . .» .

إن التزام القافية وحروفها قد يعد قيداً للشاعر ومصدر استكانة عند المتلقي المتوقع للنغمة التالية دائما ، لكن هذا الائتلاف في الأداء بين بنية الجملة وزمنها وتكوين القافية وطبيعة تفعيلة الضرب المناظر للعروض في الشطر الأول يجعل الإيقاع متعدداً مما يلون النغمات في القصيدة .

أما التيار الآخر فهو طبيعة البحر الذي تخيّره فاضل خلف أو ارتضاء عندما تدافعت الدفقات الأولى ، وهو (الكامل) ، وكانت الحالة مميزة فقد استعمل في كل شطر تفعيلتين تامتين والثالثة أصابها حذف (متفا) فعادلت (فعلن) متحركة أو ساكنة الحرف الثاني ، وأعطى هذا الاختيار فخامة واتساعاً في جزء من الخطاب ثم تأتي النغمة قصيرة وسريعة في نهايتي الشطرين ، وجاء الاختلاف بين العروض المتحركة (فَعلن) والضرب (فَعلن) امتيازا لتعدد النغمات إضافة إلى أمر مهم وهو أن التفعَيلة المكررة (متفاعلن) كانت تتباين سواء في الشطر الواحد أو بين الشطرين وكذلك في تقاطع التوازن بين الأبيات ، وهكذا يزول ما تظنه الأذن البعيدة عن الاستماع الحقيقي من انتظام رتيب ، ولو أن مقياساً تابع التردد وتداخل الإيقاع واللحن في القصيدة لأعطانا تشكيلاً من الجمل اللحنية بعيداً عن المساحات الهندسية المكرورة ، وهنا لابد من الإلحاح على أن جماليات الموسيقا الشعرية العربية تستمد من داخل تكوينها وذوقها ومقاييسها لا من القياس الخارجي .

# المقالة والخاطرة الغنائية عند فاضل خلف

دأب فاضل خلف على كتابة المقالة الأدبية والثقافية منذ أواخر الأربعينات حتى نهاية التسعينات من القرن العشرين على تفاوت في غزارتها ، وفي مقدار الصفحات ، وارتاد الصحف والمجلات العربية في عدة عواصم عربية ، ثم ازداد نشاطه مع الصحافة الكويتية ، وكانت له جولات عديدة مع الإذاعة الكويتية في مضمار الأحاديث التي يلقيها على المستمعين .

تنبه خلف إلى ضرورة جمع هذه المقالات والبحوث في كتب تحفظها وتجعل فائدتها مستمرة وتشكل مرجعا في بعض وجوه الثقافة المحلية والعربية ، فتوالت مجموعات المقالات : في الأدب والحياة ١٩٥٦ ، دراسات كويتية ١٩٦٨ ثم ١٩٨١ و١٩٩٥ ، سياحات فكرية ١٩٧٧ ، أصوات وأصداء ١٩٨٣ ، قراطيس مبعثرة ١٩٨٥ ، ذكريات نقعة ابن خميس ١٩٨٧ ، أزهار الخير ١٩٨٧ .

ويمكن أن نقسم هذا النتاج إلى ثلاث مجموعات كل منها يتوجه إلى غاية ويحمل خصائص في جوانبه المعرفية وجماليات تلزمه :

١ ـ المقالات والبحوث الأدبية في الشعر والقصة والرواية والثقافة العامة التي تعرض لشيء من التاريخ والفكر والفن واللغة .

٢ ـ أدب الرحلات وهي مجموعة مقالات وأحاديث عن أسفار ورحلات للمؤلف في أرجاء الوطن العربي وبقاع في العالم .

٣ ـ السيرة الذاتية من خلال مقالات وأحاديث دوّنها ورواها الكاتب يستعرض مراحل من حياته وأنواعا من المؤثرات الأدبية والاجتماعية والفكرية مما أسهم في تكوينه ورسم تطلعاته في الحياة .

يقتضي هذا النتاج وطبيعته أن نقف مع قضية الثقافة والإعلام كيما ننصف جهود فاضل خلف ، فقد رغب في توصيل رسائل كلماتها تزود القارئ والمستمع بقدر من الوعي بواقعه وبلده لتعمق الوشائج التي بها يكون كمال الإنسان والوطن بالانتماء ومتانة البنيان البشري موصولا بأهداف مشتركة للأمة ، ورأينا سلسلة من المعارف الأدبية والتاريخية تتابع في مقالات (خلف) مشفوعة بأمرين أولهما الإشارة إلى الجوانب الفنية في النتاج المعروض وثانيهما أسلوب الكاتب نفسه الحامل سمات البساطة واليسر في الدوال المستخدمة ، وفي مرونة

الجمل بما يجعل المتلقي يتداول المادة الثقافية ويقبل عليها بمودة !

إن هذا النشاط ليس بالهين بل يعد خطير الشأن في كل مراحل تطور المجتمع ، لأننا أمام تسرب معرفي من بين أيدي الذين عرفوا بعضا من المعارف في دوار الاستهلاك المادي ، ومشاغل تحول دون الانصراف إلى الكتب والموسوعات ، وثمة من لم تصلهم مقادير من الدراية بما حولهم أو بما يتصل بالأدب والفن في السوية الجادة والمفيدة .

ولا نغالي إن قلنا إن السلعة الثقافية بحاجة إلى فنون العرض والتسويق في وسائل الإعلام بالتشويق والإلحاح والتكرار في مواضع تتعدد وتجاور حركة الناس فتعرض في الصحيفة والإذاعة والتلفزة والإعلان ، وبغير هذا الجهد وتلك الطرائق لن تسلم البنية الاجتماعية الأساسية في صراع مستعر لتفريغها والإتيان بالسطحية المخلخلة لماهية الانتماء للوجود الحقيقي أي الفعل الحضاري غير المستلب .

لقد خبر فاضل خلف تلقي الثقافة وأحس بواجب الريادة فانطلق في كل ما أتيح له من أسباب الاتصال والتوصيل ، يكتب ويقرأ عبر الأثير ، وهنالك توهج في النفس عند الارتباط بجمهور عريض بآلاف أو أكثر من أرقامها ، والكاتب عادة يأمل في أن تجد كتبه سبيلها إلى مئات يتابعونها ، وههنا لا نساوي بين المتلقين ، وإنما نحدد فاعلية مطلوبة فازدهار الثقافة والأدب والفكر لا يفلح إذا انحصر في قشرة منفصلة عن الجماهير بطبقاتها العامة وحلقاتها الأكثر تخصيصا من المتعلمين والشباب ، إن المعارف والعلوم لا تبلغ مرحلة النهضة والقدرة إلا في مناخ شامل متناغم ليست فيه فجوات تكسر العجلات أو تشح معها الطاقة الدافعة .

كانت المقالات قصيرة تنطلق من حدود الصفحة الواحدة لتصل إلى حدود سبع أو ثماني صفحات ، واشتمل كتاب أصوات وأصداء على سبع مقالات ما بين عشر وثلاثين صفحة ، ولا شك أن الصحيفة والإذاعة والمجلة تحدد هذا الحجم الذي روضه الكاتب واستطاع أداء الغاية منه ، وهذه براعة وخبرة لا تتأتى لكثيرين .

١ ـ عرض فاضل خلف حشدا من الكتب والمؤلفات الكويتية أو الدائرة حول الكويت وتاريخه وأبرز المسهمين فيه (عبد العزيز الرشيد ، فهد العسكر ، عيسى القطامي ، صقر الشبيب الذي فصل الحديث عنه ، وتناول كتاب «أيام الكويت» للشيخ الأزهري أحمد الشرباصي) وبعد ذلك يلتفت إلى إبداع الأجيال الجديدة فكتب عن البنية اللغوية في نصوص ديوان «الخروج من الدائرة» لخليفة الوقيان ، والأسلوب الشعري في مجموعة «رجل من الرف العالي» لسليمان الشطي ، ومشكلة الاغتراب والمرأة في مجموعة «لا يصلح للحب» للكاتبة ليلى العثمان ، وكذلك الغربة والجراح في مجموعة «جراح في العيون» للكاتبة ليلى محمد صالح وثمة أسماء عديدة أخرى[٥٦] .

ويتناول أعمالا وشخصيات عربية ـ إضافة إلى وقفات مع القدماء كالمعري وابن زيدون . . ـ كأحمد شوقي وعلي محمود طه وإبراهيم العريض والعقاد وأنور المعداوي ، والأديب والمصلح عبد الحميد بن باديس من الجزائر ، والأديب الساخر «علي الدوعاجي» من تونس[٥٧] .

ونراه يحاور قرّاءه في الصحف حول مفهومات عامة للأدب والفن كما في كتابه «قراطيس مبعثرة» ويزوّدهم بمقالات يترجمها حول شعراء وكتاب من العالم : «تولستوي ، وجوزيف كونراد ، واليزابيث براوننغ»[٥٨] وهو في كل هذا يتوخى دقة المعلومات والانتقال بين الموضوع الأساسي للمقالة واستطرادات تبدأ من النقطة المشتركة وتضيف لمحات أخرى ذات أهمية فكرية كما نلحظ في مقالته عن شعر علي محمود طه فيعرج على النضال في سورية بشخص البطل يوسف العظمة وشموخ التحدي فعلا يجذّر الوجود من خلال الفداء ، ويلمح إلى شخصية شكيب أرسلان ، وبطل الريف المغربي عبد الكريم الخطابي[٥٩] .

### ٢ ـ أدب الرحلات :

لجأ فاضل خلف إلى ذاكرته ودوّن صفحات عن رحلاته إلى «إسبانيا» ديار الأندلس في كتاب «سياحات فكرية» تحت عناوين :

«في جبل طارق ، في إشبيلية ، في مسجد قرطبة ، في قصر الحمراء» وأتبعها بمقالات تؤكد اسم الكتاب بأنها تجوال في الأمكنة وبين الأشعار والتأمل في

أحوال التاريخ وصروفه وهي التي تعاود الزمن المعاصر «ابن زيدون ، المعتمد بن عباد ، الصفحة الأخيرة من تاريخ الأندلس «الموريسكيين» ويزاوج الكاتب في رحلته بين جغرافية المكان وأحداث الماضي وصورة اليوم وشيء من جماليات تمتع القارئ المتابع :

«كنت أعيش مع التاريخ المعطر وذكرياته الجميلة عندما رأيت على البعد منارة المنصور تلوح في الأفق كالعلم الخفاق بقامتها المديدة التي تقارب مئة المتر ، وبعد ذلك بقليل دخلنا إشبيلية ، عروس الأندلس ومدينة الأدب والفن . مع الغروب ، وما كاد يستقر بنا المقام في الفندق حتى تغير الجو فزالت موجة الحر وحل محلها موجة باردة يصاحبها مطر شديد استمر أسبوعين وهي المدة التي قضيناها في ربوع الأندلس .

إن إشبيلية مدينة ضاحكة مستبشرة ، ينشرح فيها الخاطر ، وتطمئن في جنباتها النفس ، وكان العرب يسمونها «حمص» لأنها شديدة الشبه بـ «حمص الشام» ويقول أبو البقاء الرندي في قصيدته المشهورة التي يرثي فيها الأندلس :

**وأين حمص وما تحويه من نُزَه**

**ونهرُها العَذْبُ فيّاضٌ وملآنُ**

وإشبيلية اليوم من أكبر المدن الإسبانية ، وفيها حركة ثقافية ممتازة ، وفيها جامعة مشهورة أنشئت منذ مئتي سنة تقريبا ، وفي كلية الآداب التابعة لها قسم خاص لتعليم اللغة العربية ، وتمتاز إشبيلية بأنها ما زالت تحافظ على طابعها الأندلسي الأصيل ، وخاصة في هندسة المباني ، فالمنزل في إشبيلية فيه حوش تحيط به الغرف ، وفي وسط الحوش حديقة صغيرة ، والبيوت في إشبيلية ، وفي كثير من المدن الأندلسية الجنوبية تشبه البيوت في الكويت وفي بعض البلاد العربية المحافظة على الطابع العربي»[٦٠] .

ونلقى في كتاب «أصوات وأصداء» فصولا تتناول رحلات أخرى هي : الطريق إلى الجزائر فوق أمواج الأطلسي ، القلب الخافق «جبل طارق ، مدريد» أصداء بعيدة «قرطبة» في غابات بنزرت «تونس» في غابات فرجيني «إيطاليا» في غابات عين دارهم «تونس»[٦١] .

وهي تنهج ما رأينا من ائتلاف المعلومات وفنية العرض وأشياء من اللمحات الذاتية ورؤية فيها موقف حي ، وكل هذا يمنح القارئ فرصة طريفة ومفيدة ، فمن ذلك تصويره لموقف واقعي بأسلوب مشوق فيه روح الفكاهة التي تكسر حدة الترقب ، وتخفف عن رفاق الرحلة في منطقة على حدود الجزائر وتلعب طاقات الإنشاء وحيوية السؤال دورا موازيا للحبكة «الواقعية» أو المأزق الذي وقع فيه هؤلاء الرحالة ! ! ومع انفراج الموقف تتدفق أحاسيس العربي تجاه هذا البلد وعزيمة المجاهدين وانتصارهم على الفكر الاستعماري وإبطالهم أعتى أدواته الحربية ، ونورد المشهد على الرغم من طوله النسبي لترابطه وعدم إمكان اختصاره :

«وقفنا أمام خط موريس برغم انتهاء الحرب المقدسة منذ ستة أشهر وقفة الخائف المترقب ، إذ كيف السبيل إلى اقتحام بابه الضخم؟ ومن يضمن لنا أنه غير مكهرب ، وهل من المستبعد ألا نكون نحن من ضحاياه؟ فتتفجر سيارتنا بنا ونحن نحاول العبور؟ أليس من الممكن أن تكون ألغامه حية حتى هذه الساعة أو بعضها على الأقل؟ إنها ورطة وقعنا فيها ، لماذا سلكنا طريق «غار الدماء» ولم نسلك طريق «ببوش» لماذا؟

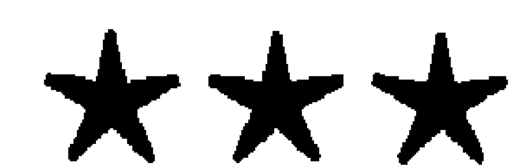
وقفنا حائرين لا ندري ماذا نصنع لكي نفتح الباب الحديدي الضخم الذي يواجهنا كالوحش المفترس؟ ونزلنا من السيارة واتجهنا بحذر إلى باب الخط ونحن نخطو بكل رفق على الأرض ، وكنت أردد على مسامع الزملاء بيت فيلسوف المعرة أبي العلاء بتحريف بسيط !

**خفف الوطء ما أظن أديم الـ**
**أرض إلا من هذه الألغام**

وبينما كنا في هذه الحالة التي لا تسر الصديق ظهر لنا شخص جزائري من الغابة عرفنا اسمه بعد ذلك وهو الأخضر وكان مديد القامة يلبس الملابس العربية الجزائرية ، فلما رأى ما نحن فيه من خوف أصابته العدوى فوقع هو أيضا في فزع شديد ، فقلت له : يا هذا كيف إذن واجهت الغزاة الفرنسيين؟ ألم تكن جنديا شجاعا في جيش التحرير؟ أتخاف من خط حربي مضى على انتهاء مهمته أكثر

من نصف سنة؟ إذن ماذا نقول نحن الذين لم نر في حياتنا بندقية صيد؟

عندئذ تشجع الأخضر فتناول خشبة مسندة طولها متران تقريبا وتقدم من الباب ، ثم مسه مساً رقيقا ، فاستسلم له قليلا ، ثم زاد في دفعه فأخذ يصر صريرا مزعجا ، وينفتح شيئا فشيئا حتى أصبح على مصراعيه وعند ذلك تنفس الأخضر الصعداء ، فتنفسنا معه الصعداء ، ولكننا لم نطمئن إلا بعد أن خطا عدة خطوات فوق وصيد الباب ، ثم شكرناه ودخلنا الجزائر من أخطر الأبواب بل من أرحب الأبواب وهو باب خط موريس الذي حطم المجاهدون الجزائريون أسطورته الجوفاء فأصبحنانحن بعد بضعة شهور نتلهى بحديده بقطعة من الخشب لعلها كانت من مخلفات الجيش الفرنسي الذي ولى الأدبار ، وترك الجزائر حرة مستقلة بعد أن كانت قطعة من فرنسا ، بل كانت فرنسية إلى الأبد ، على زعم جاك سوستيل ومن لف لفه من الغزاة»[٦٢] .



٣ ـ الخاطرة الغنائية والمذكرات :

لم يفرغ فاضل خلف ـ رغم نتاجه الوفير ـ لسيجل سيرة حياته على نحو متكامل يستوفي رحلة طويلة وحافلة بالأحداث والعلاقات خاصة وأنها شهدت تحول المجتمع الكويتي اقتصاديا وثقافيا وسياسيا من أزمنة البحر والغوص والأسفار إلى زمن النفط ثم الاستقلال وبناء الدولة الحديثة والمعاصرة .

لقد سنحت فرص فأفاد منها ودون مذكرات أو صفحات من ذكرياته تحقق ـ بشيء من العناء ـ ما يرغب الباحث من رسم ملامح هذا الأديب ، وقد استخرجنا المكونات النفسية والاجتماعية والثقافية لفاضل خلف من خلالها وأما مواضعها في كتبه فهي :

دراسات كويتية ج ١ : من وحي العيد الوطني / العيد بين الأمس واليوم/ المدرسة المباركية[٦٣] .

قراطيس مبعثرة : مجموعة مقالات وأحاديث في واحد من أجزاء هذا الكتاب وحملت عناوين : على هامش الذكريات ، حين خطف الكتاب ثمن اللفافة ،

ذكريات أدبية ، صوت الشافعي ، من ذكريات التدريس ، هنا لندن ، خواطر وأسمار : الراديو من ذكريات الغربة «هلال العيد» و«النمرة غلط» وقفة في الحي القديم[٦٤] .

ذكريات نقعة ابن خميس «صوت البحر» وخصصت للعلاقة بالبحر منذ الطفولة إلى الفتوة ، ثم استطرد الكاتب إلى أحداث ومواقف في آماد لاحقة إبان الدارسة في بريطانيا ، والعمل في تونس ، وهذا هو الكتاب الوحيد الذي انفرد بجوانب من السيرة الذاتية ، وكان أحاديث إذاعية نشرتها الصحافة كذلك[٦٥] .

إننا نعتقد أن هذه الأوراق هي أجمل ما كتب فاضل خلف ـ ولعله يجمعها في مجلد واحد ـ وتستحق درسا تحليلا يستجلي كوامنها الجمالية وسماتها في لون مميز من السير الذاتية ، ونخص الحديث بالمجموعة الأخيرة «ذكريات نقعةابن خميس» فقد اجتمعت فيها المقدرة اللغوية المعاصرة في مفاتيح دلالية قريبة من المتلقي اليوم ، ومع جمل يقطعها فتغدو قصيرة متلاحقة ثم تهدأ فتطول قليلا وهي تحيط بالحقل الدلالي ، والطاقة القصصية في رسم المواقف والمشاهد وتحويل الخبر أو الحادثة إلى بنية حكاية أو قصة تملك قارئها أو سامعها تشده مع تسلسلها وما يمكن أن نطلق عليها حبكتها وهي متعددة مع محطات عديدة في السيرة .

وقبل أن نشير إلى السمات الغنائية في الذكريات نؤكد دورا مهما لموقع الإرسال هو : الإذاعة والصحيفة فجاءت في مقطوعات قصيرة وإنْ تكن مسلسلة واستدعت تعبيرا فيه ترجيع القول والكلمات والتأكيد .

أما تصنيفنا لها ضمن الخواطر الغنائية فيرجع إلى الحضور الواضح لذاتية الكاتب ـ وإن يكن بعضهم يرى أن هذا أمر طبيعي في السيرة الذاتية ـ التي ازدادت فاعليتها بالخطاب المباشر المتوجه إلى المتلقي ، والاستعانة بالصورة الفنية المشحونة بتوتر الانفعال والمشتبكة بجزئيات السياق والموقف ونراها تسعى إلى إثارة الجمهور لترتفع إلى مصاف التجربة المشتركة .

إنها ليست حكايات قد نمر بها مرورا عابرا أو «متفرجين» وإنما هي خطاب غنائي يهز النفوس وتتماهى في حالة التعايش كما يكون الشأن في القصيدة

الغنائية ، وكما ذكرنا فالراوي ليس محايدا عن بعد بل يطل بين حين وآخر فلا نتناسى حضوره .

ولعل البساطة التلقائية أكسبتا مذكرات البحر شفافية أزاح فيها الصدق كل حجاب ، وقد أضاف فاضل خلف سمة أخرى وهي روح الدعابة والفكاهة مما جعله يدخل القلوب ويحاصر المتلقين فهم في دائرة أحكم رسمها ، ومن ذلك وصفه لبدء سباحته في النقعة :

وكانت الأصابع تشير إلي بكثير من الضحك والسخرية مع هذه العبارة اللاذعة : انظروا إلى هذا الولد يسبح سباحة كلب ، أو هذه سباحة كلب أو أنه كالكلب ، وهذه السباحة تعتمد على تحريك اليدين بسرعة وبصورة مستمرة إلى الأسفل كما يسبح الكلب . .»[٦٦] .

ومن صوره المداعبة تجواله بين الصيف والشتاء الكويتيين ! !

«فإن علمنا أن صيف الكويت لص ظريف يأخذ نصيبه الكامل ، ثم لا يكتفي بعطائه الذي خصته به الطبيعة ، بل يسرق من الربيع شطرا ومن الخريف شطرا ، فيطول ويطول حتى يبلغ ستة شهور ، أقول إذا علمنا ذلك أدركنا مدى ما يستمتع به رواد البحر .

انقضى الصيف وجاء الخريف ليس بعد الخريف إلا الشتاء ، وقد قلنا إن صيف الكويت لص لكن شتاء الكويت ضيف ولكنه ضيف ثقيل لا يكتفي بالضيافة المعهودة ، بل إنه أحيانا يتجاوز صلاحيات الضيف فيحشر نفسه في كل شيء حتى يخترق اللحم فيصل إلى العظم ، فلا يميز الإنسان أهو في صحراء الكويت ، أم في سهول سيبيريا حيث الثلوج والزمهرير»[٦٧] .

ومما اجتمع فيه تلوين العبارة والتركيب اللغوي مع الصورة وصفه للفتيان في البحر وهنا يتابع خلف بعين الطفل ورؤية الكهل الغائص وراء الدلالة الإنسانية لمجتمع ما قبل النفط .

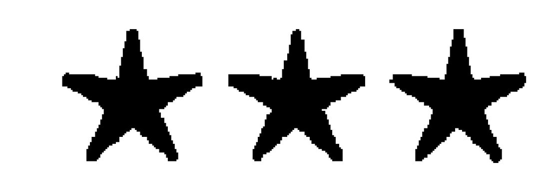
«وكنت فوق صخور القاف أرقب جمعهم ، وهم بين غائص وسابح ، وبين جاد ومازح ، يشقون طريقهم المؤنس بين السفن المتخطرفة في المياه الدافقة ذاهبة آيبة ، وهي لا تجود بلقمة العيش تنتزعها انتزاعا من هذا البحر الجبار الذي لا

يعترف إلا بالمغامرين الأشداء الذين يتحدَّون الأعاصير الهوج ويهزؤون بالزوابع السود»[٦٨] .

ومن أساليب هذه الخواطر التكرار والتوكيد وهنا نذكر الراوي الشعبي للسير والملاحم الشعبية ، وقدرته بعباراته الموقعة وقوالبها المستعارة مرة بعد أخرى :

«ولكن لا صخور القاف كانت تحول بيننا وبين التجاري على أطرافها المدببة القاسية ، التي تشبه المناشير الحادة ، عند امتلاء النقعة بالمياه ، ولا الأحجار المتناثرة في ساحة النقعة عندما تنحسر المياه وتولي الأدبار خلف الأسوار ، ولا مخلفات السفن من عظام وأشواك وعلب صفيح بالية ومسامير تالفة»[٦٩] .

إن مذكرات البحر وأوراق السيرة الأخرى تقتضي درسا يتابع الشواهد ويفصل الوجوه ، ويفتح أبواب المقارنة مع أعمال أخرى ، ونشير هنا إلى ضرب من الكتابة أراده فاضل خلف قريبا من روح الشعرية ودونه على نحو حداثي نتركه للباحثين وقد أوردناه في المختارات للتأمل وهو الكتاب المعنون بـ «الضباب والوجه اللبناني» وهو خواطر نثرية حول الحرب اللبنانية في السبعينات والثمانينات من القرن العشرين .



# كتب فاضل خلف النقدية

طالع فاضل خلف جمهور الأدب والثقافة بكتابه الأول (زكي مبارك) سنة ١٩٥٧ ، ثم جاء الكتاب الثاني سنة ١٩٩١ (فرحان راشد الفرحان والقصة القصيرة) وحل كتاب (سعاد الصباح/ الشعر والشاعرة) ثالثا عام ١٩٩٢ ، وأما كتابه (عبدالله سنان) فقد صدر في (٢٠٠٠) .

ويستدعي هذا التباعد الزمني تساؤلا تتوضح مع الإجابة عنه طبيعة هذه الكتب والرؤية النقدية فيها ، والفاعلية التي توخّى المؤلف أن تبلغ شأواً لدى القراء .

لم يحاول فاضل خلف أن يقيم مشروعاً نقدياً شاملاً أو مستقصياً طرفاً من أطراف الإبداع الأدبي في الشعر أو القصة أو سواهما وإنما كان توزعه بين هاجس الإبداع والتطلع إلى استمرار الريادة الثقافية يحول دون مثل تلك المشاريع المتطلبة تفرغا في الزمن وفي الجهد ، فلجأ إلى المقالات يتواصل بها مع الجمهور ومع الأدباء والمفكرين لكنه أحس مرات بضرورة الإسهام في الدرس النقدي ليتناول حالات لها خصوصيتها في عالم الأدب وفي ذاته لروابط إنسانية أو وطنية لمن حوله من أدباء الكويت .

● أثارته شخصية الأديب والناقد والشاعر زكي مبارك عندما كان يقرأ مجلة الرسالة المصرية في الأربعينات ، وأعجب بما قدمه من كتب وبحوث وما كان يحرّكه من نقاش حول القضايا الأدبية والفكرية ، وكذلك أسف فاضل خلف لما آلت إليه حال ذلك العلم اللامع ، وأدرك بحسه القصصي الإبداعي الحالة الدرامية المدهشة ، فكتب مقالات عن (زكي مبارك) في مجلات بيروتية ثم جمعها ضمن كتابه (في الأدب والحياة) وعندما لقي التشجيع تابع وأصدر كتابا يتناول فيه سيرة هذا الناقد وسيرة كتبه في فصول متسلسلة تاريخيا ، وبين العلاقات المختلفة بين زكي مبارك ومن عاصره ، وحلل في فصول جوانب من شاعريته ، والسمات النفسية التي أدت في النهاية إلى عزلة دامت ثماني سنوات قبل وفاته .

وكان هذا العمل النقدي ـ الذي جمع بين التأريخ والنقد ـ أول دراسة عن الدكتور زكي مبارك في الوطن العربي وبرهنت على تواصل فاضل خلف مع

الأجواء الثقافية وإلمامه الطيب والعميق بشؤونها .

● وأما كتابه (فرحان راشد الفرحان) فهو استجابة وجدانية ونقدية لأن صداقة وزمالة جمعت بين خلف والفرحان ، وكانا رائدين في كتابة القصة القصيرة ولهما نشاطهما المشترك ، وعندما تلقى نعي صديقه (١٩٧٥) تحركت الرغبة في تدوين دراسة موسعة تنصف ما قدمه (الفرحان) .

ويضم هذا المصنف فصلا عن فن القصة وآخر عن القصة القصيرة في الكويت ، وفرغ بعدها ليحلل عدداً من قصص (الفرحان) : آلام صديق ، ثمن الوفاء ، لم يفتها القطار ، خاتمة حب ، أحلام فتاة ، اليتيم ، سخريات القدر ، ويتبع ذلك بفصل عن (القيمة الفنية في أعمال الفرحان الأدبية ، وأضاف ملحقاً للقصص الخمس التي خلت منها مجموعة سخريات القدر : آلام صديق ، من الشارع ، مهازل الحياة ، حياة عناء ، طول انتظار) .

● وجاء كتاب (سعاد الصباح/ الشعر والشاعرة) ليدرس هذا الصوت الشعري المتميز بخطابه الجديد في شعر الكويت والخليج العربي ، واتصاله بتيارات التجديد الشعرية العربية ، خاصة وأنه يبرز إنجازاً باهراً للمرأة الأديبة ، وكان فاضل خلف منذ بدء نشاطه الأدبي يولي المرأة اهتماما ويستشرف المستقبل الذي يتيح لطاقات الإبداع لديها منطلقا .

لقد أضاء في فصول الكتاب شخصية الشاعرة سعاد الصباح وسيرتها في الحياة ، ثم تناول (الممارسة الإبداعية في تجربتها الشعرية) وقدم مختارات من ديوانها (فتافيت امرأة) ، وقدم (دراسة لقصيدة «كويتية» والتمرد الفني على الشكل الشعري القديم) وخصص فصلا لـ (مواكبة الشاعرة لحركات التمرد الفني في الشعر المعاصر) .

● وقدم فاضل خلف لكتابه (عبدالله سنان/ مغني الشعب حياته وشعره) بالإشارة إلى الكتيب الذي أصدره عن الشاعر كل من خالد سعود الزيد والدكتور عبدالله العتيبي سنة ١٩٨٠ ثم أضاف :

«واليوم تقتضيني الصلات الوطيدة التي كانت بيني وبين الشاعر أن أصدر عنه كتابا شاملاً يضم حياته وفنه الشعري حتى يعود صدى صوته مدويا قبل أن

يطويه الموت ، وخشية أن يذهب شعره بذهاب حياته التي خفيت خصوصياتها حتى على أقرب المقربين إليه من معاصريه . . . كما أنه ليس فقط ما توطد بيني وبينه من صلات هو الذي دفعني للكتابة عنه ، بل أضف إليه أيضا إعجابي الشديد بأعماله الشعرية المتنوّعة الأغراض التي تحلّق بالنفس . . .»(٧٠) .

دارت فصول هذا الكتاب على جوانب التجربة الشعرية وآفاقها عند عبدالله سنان (صورة الأسرة ، الشعر القومي ، الغربة والحنين ، البحر وأثره الوجداني ، السخرية والتهكم ، الاتجاه الديني ، صور من شعر الفكاهة ، المرأة وأثرها) .

وجاءت فصول أخرى تتناول الاتجاهات الفنية : (الصوت الشعري ، مناهل الفن ، الواقعية الثورية ، الموشح والأرجوزة والتشطير ، شعر الأطفال ، مقومات الفن) .

ونلحظ أن فاضل خلف يجدد قراءاته النقدية ويتابع الاتجاهات والمناهج الحديثة مطبقا إيّاها على ما درسه من نتاج الأدباء .

### كتاب (زكي مبارك) :

أراد فاضل خلف في هذا الكتاب أن يرسم ملامح هذه الشخصية الأدبية والنقدية التي شغلت جمهور الأدباء والقراء في أرجاء الوطن العربي حيث كانت تصل الكتب والمجلات حاملة نتاج البحوث والمقالات والمحاورات والإبداع مما قدمه (زكي مبارك) .

وقد كان الخطّان يتوازيان وأولهما : ١ ـ الإعجاب الذي أحاط بهذه الشخصية الطريفة في قدراتها الباهرة وآثارها المدهشة في المضمار الثقافي ، ثم في انطفاء تراجيدي مؤثر في النفس ، لأن العطاء المتدفق يؤول إلى ضيق في العيش وجدران الإحباط والانكفاء صمتاً أو كلمات يحمد معها الصمت ، وأما الخط الآخر ٢ ـ فهو التقدير للجهد العلمي في جوانب الأدب شعره ومدوّناته النثرية العربية التي أفرغ زكي مبارك طاقاته فيها إضافة إلى زوايا التصوّف في التراث العربي والإسلامي في الآفاق الغنائية سواء فيها القصيدة وذاك النص النثري ،

وما تمتع به هذا الأديب من حسّ الدعابة والسخرية .

توجّه فاضل ليكشف لقارئ فصول كتابه عن السمات النفسية والاجتماعية المحيطة والمؤثرة في زكي مبارك ، وما خلّفته من تداعيات في الواقع حوله وما كان يستقبل من أيام لم تكن هناء كلها ! ! وإنما اعتورتها الأحزان والمنغصّات على الرغم من النجاح العلمي في رؤى وإماطة اللثام عن المخبوء أو الغافي من الآثار الأدبية والفكرية وما اكتنزته من قيم لم يدرك جوهرها كثير من العاكفين عليها .

توزعت فصول الكتاب على محورين متوازيين فقد ضم المحور الأول أحد عشر فصلا تابع فيها المؤلف مفاصل مهمة في حياة زكي مبارك وربطها بثقافته التي دأب على تحصيلها ، وبالكتب الأساسية التي صنّفها وكان عدد منها رسائل جامعية في مصر (الجامعة المصرية) وفرنسا (جامعة السوربون) ، وأما المحور الآخر فقد تناول فيه سمات أعماله النقدية ومواقفه الفكرية وأساليبه ، وعرض بعضاً من علاقاته الاجتماعية في بيئة الأسرة وروابط الصداقة والوفاء .

أرسى فاضل خلف الأساس الذي يفسّر كثيراً من طبائع (زكي مبارك) والأبعاد النفسية المحركة للإبداع والطموح لديه من جهة والمتحكمة في صلته بقوانين غير مكتوبة وإنما هي أعراف في أخلاق الزمالة والحوار وتوازن المصالح ! !

إننا نرى نواة تشكلت في القرية (سنتريس) مع الفتى وتصحبه في رحلاته ودروبه تتنامى وتتصاعد ، فهي تمنحه أجنحة المثابرة والجلد في تحصيله ، وفي أحيان تجرح من يلقاهم هنا أو هناك ، ولعل عبارة (خلف) توجز ما فصّله فيما بعد :

«وهو يفخر بأنه فلاح ، وصرّح مراراً بأن آثار الفأس والمحراث منقوشة على يديه ، ومن الريف تعلّم الجدّ والعمل المتواصل ، ومن الريف اكتسب الصراحة وطيبة القلب ، ومن الريف نشأ قوي الجسم سليم العقل ، متوثّب الإحساس ، ومع هذا نشأ نشأة حزينة» .[٧١] .

إننا نتابع طموحه وتمرّده في الأزهر الذي يغادره منصرفا عنه إلى الجامعة المصرية فيغدو من أبرز طلابها المتفوقين ، وتفتح له الأبواب ليعين في تدريس بعض دروسها بإشراف أساتذته ، لكنه يفاجئ الحضور بجرأة تثير الجدل عندما

تحدث عن الشاعر الغزلي عمر بن أبي ربيعة ، ولا تشغله هذه الدروس عن المشاركة في أحداث الثورة الشعبية الكبرى في مصر سنة ١٩١٩ ، فيسجن ويبقيه وراء القضبان أمداً إباؤه ورفضه المساومة على مواقفه الوطنية ، فلا يوقع على إقرار بالبعد عن السياسة الوطنية .

وتثير آراؤه حول الإمام الغزالي حفيظة الأوساط العلمية المحافظة ، ويكاد ينزلق إلى معارك صحفية لولا حكمة أستاذه (الدكتور منصور فهمي) ، وتصاحبه حدّة المواجهة في السوربون مع بعض الأساتذة (مسيو مرسيه) وآرائهم المغلوطة ، أو التي استطاع أن يكشف الوهن في أطرافها عندما درس (النثر الفني في القرن الرابع الهجري) ، وبعد رسالته الثالثة للدكتوراه (التصوف في الإسلام) التي نالت تقديرا علمياً . يفصل من عمله مدرسا في الجامعة بسبب صراحته وخصومة لا تهدأ مع د . طه حسين وآخرين ، ثم نراه يعمل في تفتيش اللغة العربية في وزارة المعارف ونلحظ أفانين من الشدّة والتحكّم يصبّها على المدرسين مما يؤكد حدة الطبع وروح الصراع والاستفزاز ، ويسافر إلى بغداد ليدرس في (دار المعلمين العليا) ويصنّف مؤلفه الكبير (ليلى المريضة بالعراق) ويعود أدراجه إلى القاهرة وصحافتها وحوار لا ينقضي على صفحات مجلة (الرسالة) ثم يقدّم كتابه (عبقرية الشريف الرضي) . ويناقش فيه خصائص الشعرية لديه ، ويؤكد من طرف آخر الأمانة العلمية وصدق الرواية في كتاب (نهج البلاغة) للإمام علي رضي الله عنه ، ويقول :

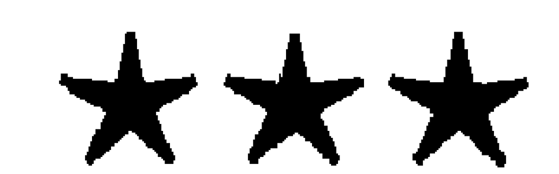
«أما ضمير الشريف الرضي فهو عندي فوق الشبهات . . . ومهما تكن حال (نهج البلاغة) فهو وثيقة أدبية وتاريخية وسياسية قليلة الأمثال . وهو كذلك ثروة أدبية ولغوية تؤرّخ اللغة في ذلك العهد ، هو أيضا يصور ما فهم العرب من أصول السياسة والمعاش وتدبير الملك في أعقاب عصر النبوة ، وهو في جميع الاحتمالات خدمة أدّاها (الشريف) إلى اللغة والأدب والسياسة والأخلاق»[٧٢] .

يعرض فاضل خلف عددا من المواقف الوطنية والفكرية والقومية عند (زكي مبارك) ، في الفصول (الناقد الثائر ، وثورة على الأوضاع ، وفي سبيل اللغة العربية) ويبسط خصائص أسلوبية لديه في (كلمة في الأسلوب) ولعل أبرز

زاوية التفت إليها المؤلف هي تطويع زكي مبارك النص النثري للأغراض الغنائية التي استأثر بها الشعر طويلا ، وكان نشط فيها أدباء العصر الحديث (مصطفى صادق الرافعي ، مي زيادة ، جبران خليل جبران ، إبراهيم عبدالقادر المازني) .

وتناول في فصول أخرى زوايا متغلغلة في حنايا هذا الأديب : (طموح وعمل متواصل ، وأب وأبوّة ، وفاء نادر المثال ، وسرائر الروح الحزين ، وألحان الخلود) وتبدو لنا معالجته للأنا المتعاظمة عند زكي مبارك مهمة في الفصل المعنون بـ (فخر وثناء) على الرغم من التعاطف المنحاز ، فنحن نقترب كثيرا من شخصية زكي مبارك وندرك الثغرات المدمرة لمواهبه وذكائه ، وتبديده لإنجازاته العلمية ، فالإحساس بالتفوق إن لم يصاحب بالكياسة وسياسة ترعى نفوس الآخرين وما يخلّفه حضور الحقيقة ! يتحول إلى أنانية ونرجسية طاغية لا تبقي حبلاً للمودة مشدوداً بل تقطع الأسباب ، لذلك بلغت به صراحته وحدته ساحة فارغة لا غطاء فيها ولا أنس على الوحشة والانعزال .

استطاع فاضل خلف أن يقدّم لنا واحداً من كتب الشخصيات والسير أضاء فيه قسمات تكاملت ، وإن لم يجعل جهده مفصّلا في مضامين البحوث والدراسات النقدية ، واكتفى منها بما يكمّل معرفتنا بأديب وشاعر وناقد هو إنسان انضوى في إهاب حقبة تاريخية وشروطها ، ويصلح هذا العمل مدخلاً إلى تأمّل أكثر تفصيلاً .



# الهوامش

١ ـ خالد سعود الزيد / أدباء الكويت في قرنين / شركة الربيعان للنشر والتوزيع / الكويت ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ ـ ج ٢ ص ٣١٩ ـ ٣٩١ ـ ٤٩١ ج٣ : ٢١ ـ ١٨٣ ـ ٢٨٩ ـ ٣٠٣ .

٢ ـ فاضل خلف / دراسات كويتية / وزارة الإعلام / الكويت ط ٣ (١٩٩٥) ص : ٢٧ ـ ٤٩ ـ ١٠١ ـ ١٦٤ ـ ١٧٢ ـ ١٨٨ ـ ٢٠٣ ـ ٢٢٣ .

٣ ـ فاضل خلف / دراسات . ص ٤٩ ، أزهار الخير ، دار الرأي العام بالكويت ١٩٨٧ ص ٨ .

٤ ـ فاضل خلف / قراطيس مبعثرة / مطابع الرسالة بالكويت ط (١) ١٩٨٢/ ص ٥٥ .

٥ ـ فاضل خلف / قراطيس ص ٦٦ .

٦ ـ فاضل خلف / قراطيس ص ٦٧ .

٧ ـ فاضل خلف / قراطيس ص ٥٨ .

٨ ـ فاضل خلف / قراطيس ص ٦٥ ـ ٦٦ .

٩ ـ فاضل خلف / قراطيس ص ٦٣ .

١٠ ـ فاضل خلف / ذكريات نقعة ابن خميس / مطابع الرسالة بالكويت / ١٩٨٧ ص ١٧ ـ ١٨ .

١١ ـ فاضل خلف / ذكريات نقعة ابن خميس ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

١٢ ـ فاضل خلف / أصوات وأصداء / منشورات فاضل خلف الكويت ١٩٨٣ ص ١٦٤ / ١٤٧ .

١٣ ـ فاضل خلف / قراطيس ص ٥٧ ـ ٥٨ .

١٤ ـ فاضل خلف / قراطيس ص ٦٠ ـ ٦١ .

١٥ ـ فاضل خلف / قراطيس ص ٨٢ .

١٦ ـ فاضل خلف / قراطيس ص ٨٠ .

١٧ ـ خالد سعود الزيد / أدباء الكويت في قرنين / ج ٣ ص ٢٢٣ ـ ٢٨٧ .

١٨ ـ فاضل خلف / قراطيس ص ٥٩ ـ ٦٠ .

١٩ ـ فاضل خلف / النصوص في (أدباء الكويت في قرنين ج ٣) ص ٢٢٤ ـ ٢٤٤ ـ ٢٨١ .

٢٠ ـ فاضل خلف / أدباء الكويت ج ٣ / ص ٢٣٧ .

٢١ ـ * د . سليمان الشطي / مقال حول فاضل خلف في مجلة الأديب البيروتية عدد تموز ـ يوليو ١٩٦٩ نقلا عن (أدباء الكويت ج ٣) ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .

/ الصوت الخافت / مكتبة الأمل ١٩٧٠ ص ١٤ .

/ مدخل القصة القصيرة في الكويت / مكتبة دار العروبة الكويت ١٩٩٣م ص ٤٤ ـ ٤٧ .

* د . محمد حسن عبد الله / الحركة الأدبية والفكرية في الكويت / رابطة الأدباء بالكويت ١٩٧٣ ص ٤٥١ ـ ٤٥٨ ، وقد أورد ثبتا لقصص لم تضمها مجموعة (أحلام الشباب) .

* د . إبراهيم عبد الله غلوم / القصة القصيرة في الخليج العربي / الكويت والبحرين دراسة نقدية تأصيلية / المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بيروت ط (٢) ٢٠٠٠ ص ١٨٢ ، ١٩٨ ، ٢٠٩ ، ٢٧١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ . (وهي أجزاء من فصول متعددة في هذه الدراسة المهمة والعميقة) .

* إسماعيل فهد إسماعيل / القصة العربية في الكويت / قراءة نقدية / دار المدى دمشق ط (٢) ١٩٩٦ ص ٣٣ ـ ٤٥ .

٢٢ ـ فاضل خلف / مجلة كاظمة الصادرة في الكويت (مطبعة المعارف) ١٩٤٨ ع ١ تموز ص ٦ ـ ٨ .

٢٣ ـ فاضل خلف / أدباء الكويت ج ٣ ـ ص ٢٣٣ ـ ٢٧١ .

٢٤ ـ فاضل خلف / في الأدب والحياة / مكتبة الآداب بالجماميز القاهرة ١٩٦٥/ ص ٨٧ ـ ٨٨ .

٢٥ ـ فاضل خلف / أدباء الكويت ج ٣ ـ ص ٢٦٦ ، ٢٤١ ، ٢٥٧ .

٢٦ ـ فاضل خلف / أصابع العروس / مطبوعات دار الرأي العام الكويت ط (١) ١٩٨٩ .

٢٧ ـ فاضل خلف/ أصابع العروس . ص ١١٢ .

٢٨ ـ فاضل خلف/ أصابع ص ٢٦ .
٢٩ ـ فاضل خلف/ أصابع ص ١١٩ .
٣٠ ـ فاضل خلف/ أصابع ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .
٣١ ـ فاضل خلف/ أصابع ص ٥٩ ، ٦٥ ، ٥ .
٣٢ ـ توفيق الحكيم / مسرح المجتمع / مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله / تونس ١٩٨٨ ص ٦٣١ ـ ٧٤٥ .
٣٣ ـ فاضل خلف / ذكريات نقعة ابن خميس / ص ١٠٤ .
٣٤ ـ فاضل خلف / أزهار الخير / مطبوعات دار الرأي العام / الكويت ١٩٨٧ ص ٢٢ .
٣٥ ـ فاضل خلف/ أزهار الخير/ ص ٩٣ ، وديوان (كاظمة وأخواتها) الكويت ١٩٩٥ ص ٨ ، وانظر غلاف ديوان (٢٥ فبراير) إذ يعد بديوان عنوانه (صوت الحب) .
٣٦ ـ فاضل خلف / على ضفاف مجردة / مطبعة حكومة الكويت ١٩٧٣/ المقدمة ص (٥) للأستاذ عبد الستار فرّاج .
٣٧ ـ خالد سعود الزيد / أدباء الكويت ج ٣/ ص ١٨٣ .
٣٨ ـ فاضل خلف / على ضفاف مجردة / ص ٨٥ .
٣٩ ـ فاضل خلف / كاظمة وأخواتها / الكويت ١٩٩٥ ص ٦٩ .
٤٠ ـ فاضل خلف / على ضفاف مجردة / ص ١٥٢ .
٤١ ـ فاضل خلف/ كاظمة ص ٤٣ .
٤٢ ـ فهد العسكر / فهد العسكر حياته وشعره / عبد الله زكريا الأنصاري / الكويت ١٩٧٩ ط ٤ / ص ٢١٨ .
٤٣ ـ خليفة الوقيان / القضية العربية في الشعر الكويتي / ط ١ / الكويت ١٩٧٧ ، وانظر خاصة في الفصلين (قضايا التحرر والوحدة) و(قضية فلسطين) .
٤٤ ـ ينظر على سبيل المثال : فهد الدويري / شيخ القصاصين الكويتيين لخالد سعود الزيد / مكتبة دار العروبة / الكويت ١٩٨٤ / قصة «اندحار الشيطان ص ١٧٨ ويعود تاريخ تأليفها إلى ١٩٥٢ ، وسليمان الشطي / الصوت الخاف /

قصة : عبور النهر إلى ضفة واحدة ص ٦٩ وتاريخها ١٩٧٠ ، ونذكر من روايات إسماعيل فهد إسماعيل العربية (الشياح) التي تدور أحداثها في لبنان إبان الحرب الأهلية في السبعينات من القرن العشرين .

٤٥ ـ فاضل خلف/ على ضفاف مجردة / ص ١٣٠ ـ ١٣٢ .

٤٦ ـ فاضل خلف / كاظمة / ص ٧٠ ـ ٧١ .

٤٧ ـ فاضل خلف / على ضفاف مجردة / ص ١٤٥ ـ ١٤٧ .

٤٨ ـ فاضل خلف / على ضفاف / ص ٣٨ .

٤٩ ـ فاضل خلف/ على ضفاف / ص ١٤٨ .

٥٠ ـ فاضل خلف / أصوات وأصداء / الكويت ١٩٨٣ / ص ١٣٧ ـ ٢٠٥ وسياحات فكرية / الكويت ١٩٧٧ / ٨٩ ـ ١٥١ .

٥١ ـ فاضل خلف / على ضفاف/ ص ٤٤ ـ ٤٦ .

٥٢ ـ فاضل خلف / على ضفاف / ص ٣٣ ـ ٣٤ .

٥٣ ـ نثبت هنا مواضع القصائد والمقطوعات في كل دائرة في الدواوين الثلاثة :

الدائرة الأولى ١/ ١ على ضفاف مجردة : ٤٠ ، ٥٨ ، ٨٥ ، ١٣٨ ، ١٦٣ .

٢٥ فبراير : ٩ ، ٣٣ ، ٤٧ ، ٦٩ ، ٧٧ .

كاظمة وأخواتها : ١٥ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٤٩ ، ٦٢ ، ٦٩ .

١/ ٢ على ضفاف : ٥٣ ، ٤١ ، ٤٣ ، ١١٩ ، ١٥٢ .

١/ ٣ على ضفاف : ٢٩ ، ١٢٢ ، ١٥٧ ، ١٦١ .

كاظمة : ١١ ، ١٣ .

الدائرة الثانية / على ضفاف : ١٢ ، ٢٦ ، ٥٠ ، ٨٢ ، ١٠٢ ، ١٣٠ ، ١٤٥ ، ١٦٥ ، ١٧٤ .

كاظمة : ١٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٧٠ .

الدائرة الثالثة / على ضفاف : ١٦ ، ٣٥ ، ٧٣ ، ١٤٨ ، ١٥٤ ، ١٦٨ .

كاظمة : ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٩ ، ٦٤ .

الدائرة الرابعة / على ضفاف : ٩ ، ٤٤ ، ٦٩ ، ٨٩ ، ٩٧ ، ١٠٤ ، ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٤١ ، ١٧٦ .

كاظمة : ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٧٤ .

الدائرة الخامسة/ على ضفاف : ٣٢ ، ٤٧ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١١٣ ، ١٧٠ .

كاظمة : ١٩ ، ٢٠ ، ٣١ ، ٦٧ ، ٧٢ .

٥٤ ـ فاضل خلف : على ضفاف/ ص ٥٨ ، ٢٥ فبراير / ص ٧٧ .

٥٥ ـ فاضل خلف / على ضفاف / ص ١٦ ، ٢٦ . كاظمة / ص ٤٦ .

٥٦ ـ فاضل خلف / دراسات كويتية .

٥٧ ـ فاضل خلف / أصوات وأصداء / سياحات فكرية .

٥٨ ـ فاضل خلف / سياحات فكرية .

٥٩ ـ فاضل خلف / سياحات فكرية ١٢٤ ـ ١٢٩ .

٦٠ ـ فاضل خلف / سياحات / ص ٩٨ ـ ٩٩ .

٦١ ـ فاضل خلف / أصوات وأصداء / ص ١٣٧ ـ ١٩٩ .

٦٢ ـ فاضل خلف / أصوات وأصداء / ص ١٤٥ ـ ١٤٦ .

٦٣ ـ فاضل خلف / دراسات كويتية / ص ٥٣ ، ٥٦ ، ٨٤ .

٦٤ ـ فاضل خلف / قراطيس / ص ٥٥ ـ ٩٠ .

٦٥ ـ فاضل خلف / ذكريات نقعة ابن خميس : المقدمة .

٦٦ ـ فاضل خلف / ذكريات نقعة ابن خميس / ص ٢١ .

٦٧ ـ فاضل خلف / ذكريات / ص ٧١ .

٦٨ ـ فاضل خلف / ذكريات / ص ٣٥ ـ وانظر ص ٩٥ .

٦٩ ـ فاضل خلف / ذكريات / ص ٣٦ وانظر ص ٣٧ وص ٥٥ .

٧٠ ـ فاضل خلف / عبد الله سنان مغني الشعب / رابطة الأدباء بالكويت ٢٠٠٠ ص ٩ ـ ١٠ .

٧١ ـ فاضل خلف ، كتاب زكي مبارك ، ط ٢ الكويت ١٩٨٢ ، ص ١٣ .

٧٢ ـ فاضل خلف / زكي مبارك ، ص ٨٨ ـ ٨٩ .

# مختارات

## من الخواطر والسيرة عند فاضل خلف

- ذكريات نقعة ابن خميس
- قراطيس مبعثرة
- الضباب والوجه اللبناني

# ذكريات نقعة ابن خميس

- ١ -

قلت : إن منزلنا كان يبعد مائة متر عن البحر ، وأزيد اليوم فأقول : إن المسافة كانت من أمتار ذلك الزمان ، وليست من أمتار هذه الأيام ، ولا يتبادر إلى الذهن أن المتر طرأ عليه تحوير خلال السنوات الأربعين الماضية ، فأصبح سنتمتراً مثلا ، وإنما أقصد شيئا آخر ، قد لا يعرفه أبناء هذا الجيل ، وهو أن الشوارع الفسيحة التي تُرى اليوم كانت سككا ودروبا ضيقة تتعرج وتلتوي ، فيكون المتر أطول بكثير من طبيعته التي جبل عليها في عالم المقاييس ، فإذا أضفنا إلى هذه الحقيقة ، حقيقة أخرى تعزز أختها ، تبين لنا جليا مدى وعورة المسلك ، وصعوبة الطريق ، فقد كانت تلك السكك والدروب الضيقة الملتوية ، خالية من كل تنظيم ، وكان التراب والرمل ، وما يتخللهما من أشواك ومسامير تالفة ، وحبات الحصى المدببة المتناثرة ممرا لنا في غدونا ورواحنا إلى البحر ، وطريقا غير مأمون العواقب لأقدامنا الصغيرة العارية .

إن السباحين اليوم يلبسون أحذية بحرية وخصوصا عندما يتوجهون إلى البحر ، أما نحن في ذلك الزمان فقد كان التراب اللهّاب يحرق أقدامنا فنظل نراوح بينها ونقفز قفزات التفزع ، والحرارة تسري في جميع أوصالنا حتى تخترق محاريب الفؤاد ، إلى أن نصل إلى ماء البحر ، فنضع فيه تلك الأقدام التي أصبحت حارة حرارة التراب المحرق الذي وطئناه ، وعند ذلك نتنفس الصعداء ، بعد أن تأخذ برودة الماء تتمشى في مفاصلنا ، إلى أن تقضي على آخر تيار من تيارات الحرارة التي كانت تحتل كل رجا من أرجاء الجسم . هذا من ناحية الأقدام ، وأما الرؤوس فقد كانت هي أيضا عارية من كل غطاء ، معرضة لأشعة الشمس اللافحة التي كانت تصب حممها على اليوافيخ الطرية . ويعلم الله ، كم كانت الرمال المحرقة ، وكم كانت الشمس الملتهبة في حمّارة القيظ ، تسبب لنا الأمراض المختلفة ، التي لم نكن نعرف عنها شيئا أبدا ، ولكننا كنا نتحمل

الأذى ، ونتقبل كل ذلك العذاب ، بروح راضية ، وبنفس سمحة ودون أي تأفف أو ضجر بل كان العكس هو الصحيح ، فقد كنا في سعادة أي سعادة .

لقد جمحت الذكريات بالذاكرة ، وتزاحمت الأفكار على القلم ، فأخذ يشرّق ويغرّب في ذكر جزيئات اعترضت طريقه ، وكان من المقرر أن يكون حديثنا هذا عن أول يوم اقتحمتُ فيه البحر المجهول ، سابحا كبقية الأطفال .

إنني لا أذكر من ذلك اليوم الآن إلا خيالات باهتة كادت أن تمّحي هي الأخرى ، لولا حنين إليها دائب ، وشوق إليها لا تبلى لواعجه .

اقتحمت البحر وكان نصيبي منه ، مجرد التقاء الماء رمال الشاطئ خوفا من الغرق ، فلم ألبث إلا أسبوعا أو بعض أسبوع ، حتى تعلمت السباحة ، وأنا في سن السابعة ، بعد مران شاق وعمل متواصل مجهد . ويا خيبة المسعى وضياع الآمال ، إذ إنه بعد كل ذلك المران الشاق وبعد كل ذلك العمل المتواصل المجهد ، اتضح للجميع أن سباحتي كانت سباحة الكلاب .

ـ ٢ ـ

تحدثت عن بعض الفوائد التي جنيتها من بقائي في النقعة بسبب عدم قدرتي على السباحة الصحيحة ، فقد كانت سباحتي هي سباحة الكلاب التي لا تسعف صاحبها إذا فتح البحر ذراعيه له ، وعانقه عناق الأحباب ؛ لذلك فإن بقائي قريبا من الساحل زودني بعدة فوائد جئت على بعضها فيما سبق من القول ، وهنا أذكر فائدة أخرى تضاف إلى أخواتها السابقات : إن تخلفي بين أحضان النقعة ، أو على القاف ، جعلني أعرف شيئا عن (الحداق) وهو صيد السمك ، وكان سلوتي بعد ذلك في قضاء ساعات طويلة من النهار في صيد السمك ، وأقول : صيد السمك ، على سبيل المجاز ، وإن شئتم الحقيقة فعلى سبيل المزاح ، فإن تلك الساعات الطويلة كانت تثمر أحيانا سمكة واحدة لا يتجاوز طولها حجم خنصر اليد ، وأحيانا كنت أحس بثقل الصيد ، فإذا سحبت الخيط لم أجد في الميدار وهو الشص غير «القصيّع» وهو نبات البحر .

ويتفق أن يكون الصيد ثقيلا جدا فأمنّي النفس بسمكة كبيرة أبشر بها الوالدة

لتجعلها لنا عشاء مشوية أو مقلية ، فتكون السمكة إذن بديلا عن العشاء المعتاد وهو الخبز والشاي ، وقد قلت : العشاء ، ولم أقل : الغداء ، لسبب بسيط ، وهو أن الحداق بالنسبة لي كان يتم في فترة الظهيرة ، وذلك بعد تناول طعام الغداء ، فتكون وجبة العشاء إذن هي الوجبة الموالية ، لأن بقاء السمكة إلى ظهر اليوم التالي يفسدها بفعل حرارة الجو .

وكأنني ألمح من خلف الأستار علامات ابتسامات خفيفة تلوح على ثغور شبابنا الذين لم يواكبوا أيامنا الماضية ، ولم يلمسوا ما كنا فيه من بساطة وبركة حال .

أقول : كأنني أراهم يتعجبون من قولي وهم يشيرون إلى الثلاجات الفاخرة التي تئز من حولهم قائلين : وهذه ألم يكن فيها مأوى لتلك السمكة اليتيمة ، وفيها متسع لعشرات الأسماك ، وكميات اللحوم ، وزجاجات الماء ، وأصناف الخضار والفواكه ، فأرد على تساؤلهم بابتسامة خفيفة أيضا ، وأنا أقول : وهل كانت لنا ثلاجات يا أحبابي منذ أربعين سنة تحفظ لنا كلّ هذه المغانم؟ !

نعم لقد كانت عندنا ملالات جمع ملالة ، كما أن الثلاجات جمع ثلاجة ، فإن لم تعرفوا ما هي الملالة؟ فقد كانت ثلاجتنا ونحن صغار ، ويا لها من ثلاجة ! كانت القطط تغير عليها ، وتغزوها من كل جانب .

## -٣-

الهوري ، وما أدراك ما الهوري؟ إن الذين أدركوا النقعة في شباب زمانها كما أدركت ، يعرفون ما هو الهوري ، ولكنهم يفرحون إذا عادت ذكرياته اليوم على أمواج الأثير إلى أذهانهم ، ويطربون إذا سمعوا عن أخباره الطيبات وما أخبار الصيف إلا أخبار المسرة والأفراح ، وما أخبار البحر إلا أخبار البهجة والانشراح ، وما أخبار الهوري إلا أخبار ملاح ، يفرحون ويطربون لأن في ذكر الهوري عودة لأيام شبابهم ، وذكرى معطرة لأيام صباهم ، وقصة محببة إلى قلوبهم التي تخفق كلما سمعت عن تلك الأيام النضرات التي عبرت فوق جسر الزمان وخلفت وراءها شذا عطراً ينتشر في الأرجاء فتسر القلوب ، وتبهج النفوس ،

وتحيي الهمم والعزائم لمواصلة السير ، بالقافلة المباركة إلى الهدف المنشود ، وما الهدف إلا المجد وهو في عوالم الضياء ، وما القافلة المباركة إلا الكويت الحبيبة المنطلقة نحو دنيا النور .

إنها ذكريات ، لكنها في الواقع خفقات القلوب ولفتات الأكباد وهمسات الأضلاع ، تبرز اليوم إلى ساح الحياة ، نابضة ، خافقة هامسة ، للبحر الضاحك المستبشر ، وللنقعة التي مازالت توزع الحب لعشاقها ، الذين أمّوا حماها في أيام عزها فضمتهم بجناحيها ، ومنحتهم كل ما عندها من عطف وحنان وحب وسعادة واطمئنان .

أقول : إذا كان في مواطنيّ الكرام من أدرك الهوري وأيامه الجميلة ، فهم إذن يعرفونه ولا يزيدهم ذكره اليوم إلا حنينا فوق حنين وشوقا فوق شوق ، أما إذا كان فيهم من لم يره ، ولم يدرك أيامه فهو زورق مستطيل نحيف الجسم لا يشبه الزوارق البخارية التي يعرفها الشباب اليوم ، الزوارق التي يشقون بها مياه البحر في أيام لهوهم ولعبهم ، فالهوري أصغر من هذه الزوارق وقد كان يتراوح طوله بين ثلاثة أمتار وبين خمسة أمتار أو ربما زاد على هذه الأمتار الخمسة وهو في الأصل تابع للسفينة ويوضع على سطحها ، وكان يستعمله البحارة عندما يحتاجون إليه في تنقلاتهم البسيطة فينزلونه إلى البحر ، ويجلس فيه شخص أو أكثر ، وهو ممدد الرجلين إلى الأمام ، ويدفعه إلى الهدف المنشود بواسطة «غرافة» أو غرافتين إذا كان هناك راكب آخر ، وربما غرافة ثالثة إذا كان الركاب ثلاثة مثلا .
وكان الهوري يستعمل لغرض آخر غير احتياج بحارة السفينة إليه في تنقلاتهم العادية ، فقد كان الأطفال والصبية والشباب يستعملونه أداة للسباق ، فكنت أرى في النقعة وخارجها مجموعة من الهواري ، وهي تتجارى لنيل قصب السبق ، وقد كان الهوري غالي الثمن بعكس التناك الذي كان في متناول الجميع ، أما الهوري فقد كان مقصورا على أبناء الطبقة الغنية ، وهم عادة من أبناء رجال البحر الذين يملكون سفنا تجارية كبيرة تجوب البحار إلى الهند وإفريقيا ، ولا أذكر أنني ركبت الهوري إلا مرات قليلة ، عندما كان يدعوني صديق أو جار .

ثم ودعت النقعة في أواخر الثلاثينات ، وبعد عشرين سنة تقريبا أي في سنة ١٩٥٨ ، ذهبت إلى انجلترا فوقعت عيناي على الهوري مرة أخرى وكان يسميه الانجليز «كانو» ، وقد رأيت الشبان يتسابقون ويلهون بهذه «الكانوات» فهاج الشوق في نفسي وتذكرت أيام الطفولة والصبا ، وحاولت أن أغالب الشوق فكان أغلب ، فما كان مني إلا أن استأجرت واحدا منها ، وأخذت أتهادى به على صفحات نهر «الكام» في مدينة كمبردج ، وأنا في غاية السعادة والسرور وحققت بذلك رغبة ملحة عادت بي عشرين سنة إلى الوراء ، إلى نقعة ابن خميس وإلى البحر والصيف والهوري الحبيب الذي كان يختال على شواطئ الكويت منذ سنين .

ـ ٤ ـ

كنا في أول الشهر العربي ، وكان المد في أقصاه عند الظهر وكان السيف يعج بالسابحين ، والنقعة تموج بالورّاد ، وقد تجاوز ماء البحر حدوده وتعداها ، حتى تطاول على الطريق العام ، فشارك الناس في عبورهم وتطوافهم ، ولم يكن هذا الطريق سوى شارع الخليج اليوم بعد أن تطاول من جانبه ، بعد أربعين سنة على البحر فأخذ نصيبه الأوفر منه .

فواعجبا من صنع الزمان ! كان البحر هو الذي يهاجم ، وكان البر في موقف المدافع ، وما كانت خطوطه الدفاعية بمجدية في أكثر الأحايين ، فصار بعد عشرات السنين هو المهاجم ، وصار البحر في موقف المدافع ، فلا تفيد خطوطه الدفاعية ولا تجديه نفعا ، وصار تنظيم المدينة في صالح البر ، أما البحر فتقبّل الهزائم المتلاحقة بروح البطل الذي لا تزيده الهزيمة إلا قوة فوق قوة ، وإصرارا فوق إصرار ، تقبّل البحر كل هذه الهزائم بروح البطل ، بعد أن حمل رايات الكويت المرفوعة إلى أقاصي الأقاليم ، وعاد بها مثقلة بالرزق الحلال فابتهجت البلاد وانتعش العباد ، وهذه هي حال الأيام ، وحسب البحر فخرا أنه صانع الأمجاد !

ونعود إلى ذلك اليوم الذي كان فيه الشهر العربي في أول يوم من عمره ،

ووجدت فيه نفسي أرتدي كامل ملابسي وهي الدشداشة والغترة ، أما القدمان فكانتا بدون غطاء أرضي ، فما العمل؟ وكيف السبيل إلى الوصول إلى القاف؟ والمياه في النقعة تغطي رأس أطول الرجال فكيف بفتى يتعثر في سنته الثامنة؟

ولم يطل بي الانتظار ، فقد رأيت كثيرا من السباحين يأتون بشيء غريب ، ففعلت فعلهم ، ووصلت إلى غايتي ، خلعت ملابسي فكورتها ثم لففتها على رأسي فصارت كالعمامة ، ولم يبق على جسمي إلا الإزار ، أو الوزار ، ثم خضت البحر حتى وصل الماء إلى رقبتي ، وبعد ذلك اتجهت إلى سور النقعة ، سابحا سباحة صحيحة تختلف عن سباحتي في الصيف الفارط ، فقد كانت تلك سباحة الكلاب ، أما هذه فكانت سباحة البشر ، حتى وصلت إلى الهدف . لقد كان مشهد هذه العمائم المكورة ، يتكرر يوميا أمام ناظريّ وما كنت أعلم أن له مثيلا في بعض بلدان الدنيا ، إلى أن قرأت منذ سنوات في مجلة العربي أن رئيس وزراء الهند السابق «شاستري» كان وهو تلميذ يتجنب ركوب الباص إمعانا في الاقتصاد ، وكان يمشي عدة كيلومترات على قدميه ، حتى يصل إلى المدرسة ، وكان في طريقه نهر ، فكان إذا وصل إلى النهر عبره سباحة ، بعد أن يضع ملابسه على رأسه ، ثم يرتديها مرة أخرى إذا وصل إلى الضفة المقابلة ، ويتابع سيره بعد ذلك .

وهكذا صنعت ما صنعه شاستري قبل ذلك ، وربما صنعه غير شاستري في بلاد أخرى غير الهند ، كما كان يصنعه أبناء بلدي قبلي فقلدتهم ، فكان لهذا التقليد أشباه هنا وهناك في أرجاء هذا العالم الفسيح حيثما يوجد البحر ، وحيثما يوجد النهر وحيثما توجد البحيرات .

## - ٥ -

تحدثت قبل ذلك عن طريقة عبوري مياه النقعة سباحة ، في حين كانت ملابسي فوق رأسي كما العمامة ، ثم وضعت ملابسي بين فروج القاف ، وتابعت مسيرتي مستسلما إلى مياه البحر اللجي ، لاعبا ، لاهيا ، عابثا ، وذهبت في غيبوبة لذيذة ، ولم يكن في هذا الاستسلام إلى المياه الباردة أي عجب ، فقد

كنت أشتاق إلى هذا اللقاء منذ الصيف المنصرم ، وكانت هذه أول مرة في حياتي أصل فيها إلى هذا المكان العميق المتسع البارد النظيف ، بعد أن كانت مياه النقعة الضحلة الساخنة ، ومجالها الضيق ، وساحاتها الملوثة ، مكاني المفضل الذي فُرض عليّ لسبب ذكرته كثيرا فيما سبق .

وبينما كنت في غيبوبتي اللذيذة ، رأيت ثُلّة من الأولاد ، يخرجون من باب النقعة ، وهم يتجهون إلى البحر الفسيح ، فدخلت في السرب دون أن أعرف أحدا منهم ، وربما هم أنفسهم لا يعرف بعضهم بعضا ، ولكنه البحر الذي ضمهم بحنانه ، وشملهم بعطفه وخصهم بحبه ، وجعلهم إخوة متحابين ، فما كنت أسمع منهم إلا ضحكا ومرحا ، ولا ألمح في عقدهم النضيد إلا تآلفا ومودة .

وما كدت أدخل معهم الحلف حتى أصبحت واحدا بدون مجاملة أو كلفة ، وسارت القافلة إلى الأفق الأزرق الرحيب ، وتوقف الزحف فجأة باقتراح من أحد الفتيان لإجراء مباراة في الغوص ، واستخراج شيء من رمال القاع ، أو حجارته ، فغاص صاحب الاقتراح وبدأ الشباب بالتجربة .

وترددت في أول الأمر خوفا ورهبا ، لأنني لم أجرب حظي بالغوص إلا في المياه الضحلة في ساحة النقعة ، أما هنا وفي هذا المكان العميق الذي لا يقل عن خمسة أمتار فيختلف الأمر تمام الاختلاف ، ولكنني لما رأيت الصبية بين غائص إلى القاع حيث الظلمات وبين خارج إلى السطح حيث النور ، وفي يد بعضهم شيء من الرمل أو الحصى أو الحجارة أو الطين أو شيء لم أتبينه ، ولا شيء بيد بعضهم الآخر غير الحسرة والأسى وخيبة الأمل ، بعد انقطاع النَّفَس ، لم أشعر إلا والبحر قد ابتلعني .

وبعد صراع عنيف مع جاذبية البحر وجدت نفسي مفتّح العينين في القاع ، بين منظر غريب تقع عيناي عليه لأول مرة في الحياة ، فقد كنت فوق غابة كثيفة من نبات البحر تتماوج بين الصخور والرمال ، وتتراقص بين الحجارة والحصى فأخذت بيدي نبتة من ذلك الزرع الأخضر ثم ضربت القاع برجلي ، بكل قوتي ، فاندفعت إلى سطح الماء ، وفي رئتي بقية نسمة أسلمتني إلى الرفاق في الأعلى . وتواصل حبل السباحة والغوص ، ولا تسألوا بعد ذلك عن جرعات

الماء المالح الأجاج التي ابتلعتها ، فقد فاقت الحصر ، ولكن طعمها في الفم كان عذبا فراتا بالنسبة إلى الفتى السارح في غيبوبته اللذيذة ، ولا تسألوا أيضا عن المياه المالحة التي دخلت خياشيمي ، وأذني وعيني ، فقد كانت كثيرة سببت لي آلاما حادة ، ولكنها لم تزدني للبحر إلا حبا فوق حب .

وبعد ساعات من اللعب والمرح واللهو في أحضان البحر ، وبعدما أخذت المياه تنحسر بالتدريج عن النقعة ، وما جاورها من البقاع ، أنهيت حصة السباحة مرغما ، واتجهت إلى حيث وضعت ملابسي بين فروج القاف ، فلم أجد أي أثر لها ، كانت قد اختفت ، وكذبت عيني في بادئ الأمر ، وأخذت أبحث عنها بين الصخور المجاورة علني أكون قد أخطأت التقدير ، فوضعتها في مكان غير هذا المكان ، ولكن محاولاتي كلها ذهبت أدراج الرياح .

- ٦ -

تحدثت في السابق من هذه الذكريات ، عن ضياع ملابسي التي وضعتها بين صخور القاف ، ثم اختفت ، بل بمعنى أدق ، سُرقت ، وكان هذا خطأ اقترفته ؛ لأنني أتيت البحر بملابسي وكان الأحرى بي أن آتي إلى البحر بالإزار فقط ، كما كنت أفعل ذلك في الصيف الفارط ، ولكن المقدر كان .

وهكذا فقدت ملابسي ، وتحول كل ذلك الأنس ، وكل تلك البهجة ، في لحظات إلى كدر وحزن ، جنّبكم الله كل كدر وحزن . وهذه حال الدنيا ، فبينما يكون الإنسان في حالة معينة ، يتحول فجأة إلى حالة أخرى ، تغاير الحالة الأولى ، وصدق من قال : دوام الحال من المحال . خرجت من الماء إلى اليابسة ، ووقفت على السيف باكيا ، بينما كان السباحون يغادرون البحر فرادى وجماعات ، فلفت منظري الحزين انتباههم ، فحرك عطفهم ، ولكن العطف وحده لا يكفي ، فلا هو يزيل همي ولا هو يرجع ملابسي ، فكان بعضهم ينصرف بمجرد أن يعرف الخبر وكان بعضهم يقف لحظات ، ثم يتوارى عن الساحة ، وكان بعضهم يقف دقائق ، وهو يتلفت يمينا ويسارا علّه يقف على الجاني ثم يغادر المكان بصمت ، وربما خالط صمته عطف وإشفاق ، ما عدا رجلا

واحدا ، لم ينصرف مع المنصرفين ، وإنما كان يجيل نظره في كل مكان ، ثم وضع يده في يدي وقال : تعال معي نبحث عن السارق في غير هذا المكان . أنت تعرف ملابسك أكثر مني ، والذي ذهب بها لن يكون الآن في هذا المكان ، ولم ينتظر جوابي ، بل قادني من يدي ، وأخذ يجوب سيف البحر ، وهو يسأل بين الحين والآخر سؤالا واحدا لم يتغير : «انظر جيدا هل هذه الملابس التي يرتديها هذا الشخص تشبه ملابسك؟» فكان الجواب واحدا أيضا لم يتغير وهو «لا» ولم ييأس الرجل الشهم ، بل مضى قُدُما في إصرار عجيب لمعرفة السارق ، وربما لم تكن هذه أول مرة يقوم فيها بمثل هذا العمل ، ومن الجائز أن يكون قد سبق هذا الحادث حوادث متشابهة ، ويكون قد شهد صاحبنا بعضها ، فأصبح لديه خبرة في هذا النوع من التحقيق .

وفجأة رأيت منظرا عجيبا ، فتسمرت في مكاني وقلت لصاحبي : انظر ، وما وقع بصره على ذلك المنظر حتى قال وهو يبتسم : وقعنا على السارق ، وأمعنت النظر ، رجل طويل يرتدي دشداشة قصيرة حتى الركبتين ، ويلف على رقبته كوفية ، وهو يتخطرف على سيف البحر ولكن ليس أمام نقعة ابن خميس ، حيث كنت ، وحيث كانت ملابسي ولكن أمام النقعة المجاورة بقرب منزل (دكسن) .

وهكذا تحققت فراسة ذلك الرجل الشهم ، عندما أخذ بيدي وسار بي في محاذاة الشاطئ ، وهو يتصفح الوجوه ، ويصعّد النظر في ملابس المارة ، وعندما لمحنا السارق ونحن متجهان إليه بغضب حاول الإفلات ، ولكن صفعة قوية من صاحبي ، كنت أقرب إليه من الهرب ، فما كان منه إلا أن نزع الدشداشة فرماها مع الكوفية أمامنا ثم أطلق ساقيه للريح قبل أن يتجمهر المارة من حوالينا ، فأخذت ملابسي وذهبت إلى البيت ، بعد أن تبدل حزني فرحا ، وخوفي أمنا ، وبكائي ضحكا .

جعلكم الله في فرح دائم ، وأمن شامل ، وضحك يجعل العالم كله أمامكم ضاحكا مهللا مستبشرا .

جرّبنا التغريب في الأسبوع الماضي عندما رحلنا إلى عشيرج في تشالة (والد عبدالرحمن) وسوف نجرب اليوم تغريبا آخر أبعد من عشيرج قليلا ، لذلك سوف تكون وجهتنا هذه المرة إلى «الصبية» ، فقد كان الوالد في ذلك الوقت يعمل في شركة النفط الانجليزية الإيرانية المحدودة في عبّادان ، وقد قررت أن أزوره وأغير الجو الذي ألفته منذ ولادتي إلى جو آخر طالما سمعت عنه . إنه جو الخضرة والمياه العذبة ، وقد كان ذلك في عام ١٩٤٠ .

ركبت مع صاحب سفينة تنقل (الصلبوخ) من الصبية في الكويت إلى عبّادان في إيران ، ولم يكن صاحب هذه السفينة إلا صديقا قديما للوالد ، ولم يكن إلا صديقا للكويت في الثلاثينات عندما عمل في إدارة البريد مع الوالد ، إنه المرحوم عبدالصمد النصار من أهالي القصبة ، إحدى القرى التابعة للمحمَّرة ، ثم غادر الكويت أكثر من عشر سنوات ، وبعد ذلك اشترى سفينة تعمل بين الكويت وموانئ الخليج وشط العرب .

ركبت معه من الفرصة في نقعة الميناء وكانت أولى محطة للسفينة هي الصبية ، لكي تتزود بالصلبوخ ، وهكذا وجدت نفسي بدون أن أخطط شيئا من عندي في الصبية ، فقد كان مقصدي عبّادان ولكن القوة الخفية ساقتني إلى الصبية لكي أسجل حادثة في هذه الذكريات ، ذكريات الصيف والبحر بعد أربعين سنة تقريبا . كان الوقت صيفا ، ومياه الجزر تتراج بقوة ، مما جعل الزورق التابع للسفينة يندفع بملاحه الوحيد «عبدالله» وهو من سكان إحدى مدن الخليج ، يندفع به الزورق إلى أعماق خور الصبية ، وقد كان عبدالله يحاول نقل طعام الغداء من السفينة إلى البحارة الذين كانوا يعملون بمهارة فائقة في نقل الصلبوخ إلى السفينة .

وقف البحارة مذهولين وهم يرون زميلهم ، في زورقه يصارع مياه الجزر وليس معه سوى مردي ، وهو يحاول أن يوصل طرفه السفلي إلى القاع ليوقف انجراف الزورق إلى أحضان البحر ولكن المردي لا يجد طريقه إلى القاع ، فقد كانت المياه العميقة لا تسمح لقامته القصيرة بالوصول إلى قعر البحر .

وقبل أن يستفيق البحارة من ذهولهم ، قفزت إلى البحر وكان بيني وبين الزورق ثلاثون أو أربعون مترا ، وأخذت أضرب الماء المتعكر بساعدي ، وكان البحارة قد حذروني من السباحة في سواحل الصبية خوفا من «اليريور» ، وهو كلب البحر ، فأخذت بنصيحتهم ولكن نصائحهم تبخرت مع الرياح ، في هذه المرة كانت المسألة في نظري ، مسألة حياة أو موت بالنسبة إلى البحار «عبدالله» .

وبعد دقائق ، كنت زميلا للملاح التائه ، ولكنني لم أركب الزورق وإنما طلبت منه أن يناولني «القلْس» وهو الحبل الذي يربط به الزورق ، والكلمة عربية فصيحة يستعملها البحارة الكويتيون ، وقد ورد ذكرها في قصيدة أحمد شوقي «الأندلسية» حينما قال :

**غشيت ساحل المحيط وغطت**

**لجة الروم من شراع وقلْس**

ولففت القلْس حولي ، وأخذت أسبح تجاه البر ، أما عبدالرحمن فلم يقفز إلى الماء لمساعدتي لأنه كان خائفا من «اليريور» ، وأخذت أسبح بكل ما أتيت من قوة ، وذلك بفضل نقعة ابن خميس التي علمتني كيف أقتحم اللجج العميقة ، بين الأمواج ، والرياح العاصفة ، وقبل أن يصل البحارة إلى الزورق كنت قد بلغت به اليابسة ، وقد ظلت ألسنتهم تلهج ببطولة الفتى إلى أن وصلت السفينة إلى شواطيء عبّادان .

## - ٨ -

الحادثة التي جرت لي على ظهر الباخرة «سرنشوش» هي : لقد كان الأكل على ظهر الباخرة على ثلاثة أنواع : الانجليزي والعربي والهندي ، أما الأكل الانجليزي فقد كان لطاقم الباخرة ، ولم يرغب فيه أحد من موظفي شركة كري مكنزي أو موظفي شركة النقل والتنزيل ، أما الأكل الهندي فقد كان لبعض الموظفين والعمال الهنود ، وأما الأكل العربي ، فكان بطبيعته أكلا كويتيا خالصا ، وقد جربت في الأيام الأولى الأكل الانجليزي فلم أستسغه ، وكان الأكل الكويتي هو طعامي المفضل ، ولكن هل يصبر الإنسان على طعام واحد؟

كلا ، فقد هزّني الشوق لأكل الهنود ، فانتظمت في قافلة عشاق الأكل الهندي في يوم قائظ من أيام شهر تموز .

كانت الباخرة تتلهب والشمس في عز الظهيرة ، والأكل الهندي لذيذ بتوابله وبهاراته ، وكان الفلفل مبثوثا في كل زاوية من زوايا المائدة ، فالتهمت الطعام بشهية ، وكان كله فلفلا في فلفل ، وما انتهيت من الغداء حتى كان جوفي يشهد أعنف معركة من معارك الشرق الأقصى ، ولكن بغير سيوف الهند ، وكان العرق يتصبب مني جداول وأنهارا ، وكان القلب يتوثب لا شوقا وهياما ، ولكن توقدا وضراما . حاولت بكل ما أستطيع التغلب على حالتي التي لا تسر الصديق أبدا ولكن كان ذلك من المستحيل ، ونظرت إلى البحر الأزرق الذي لا تعكره نسمة من ريح ولا تحركه نفحة من نسيم ، ما عدا ذبذبات طفيفة كان سببها قفزات الأسماك الصغيرة حول الباخرة ، فاشتعل الشوق للسباحة في أعماقي ، مع اشتعال الفلفل ، وحديد الباخرة وحرارة القيظ .

تجاهلت كل شيء في تلك اللحظة ، تجاهلت تحذير الربآن بوجود «اليريور» في هذا المكان من البحر ، وتجاهلت نصائح الطب التي تقول : إن السباحة في الشبع قد تؤدي بأمهر السباحين إلى الغرق والهلاك ، وتجاهلت سبع سنوات من هجر البحر والسباحة ، وهذا التجاهل الأخير ، قد يكون سببا في انهيار قواي ، بسبب تقادم العهد بيني وبين البحر ولكن النار المتأججة في كياني جعلتني أتجاهل كل هذه الأشياء ، لكي أطفئ تلك النار ، بمياه البحر الباردة التي كانت تتلألأ كالمرايا على مدى البصر .

والقيت بنفسي في البحر ، بعد سبع سنوات من الابتعاد الكامل عن البحر ، فكنت كالصخرة الصماء تلقى في لجة البحر ، ولكن حلاوة الروح أرغمتني على تحريك يدي ورجلي ، لقد كان في نيتي أن أدور دورة واحدة على الأقل حول الباخرة مجددا بذلك أمجادي في نقعة ابن خميس ، وفي عشيرج ، وفي الصبية ، وفي نهر كارون ، وفي شط العرب ، ولكنني أخفقت في محاولتي ، فدرت نصف دورة ، وإذا بمياه الجزر القوية تجرفني بعيدا عن الباخرة ، فضاعفت الجهد ، وزدت عدد ضربات الماء بساعدي ، حتى سباحة الكلاب التي تعلمتها

منذ أكثر من عشر سنوات ثم هجرتها استنجدت بها في ذلك المقام الحرج .

وتمثّل أمام بصري «اليريور» الذي حذرني منه ربّان الباخرة ، بل إنني تصورت حواليّ ألف يريور ، وهي تدغَرُني* ، وأيقنت أنني سأصبح فريسة سهلة للغزاة ، وكنت أرى فوق رأسي بعض الموظفين والعمال يشيرون إلي بأيديهم بدون أن أعرف مرادهم ، وكنت أرى على البعد منازل الكويت الساحلية تلوح من بعيد ، فتمنيت أن لي يداً طولها فرسخ ، لكي أستطيع الإمساك بها لانقاذي مما أنا فيه ، وأخيرا استطعت أن أصارع التيار ، فصرعته وتغلبت على الجزر ، وأمسكت بتشالة من تشاشيل التنزيل الكثيرة المحيطة بالباخرة ، وقام أحد العمال بمساعدتي على الصعود إلى التشالة ، ولكنني لم أكن في حالة طبيعية ، فقد كانت الدنيا تدور بي من كل جانب وكانت يداي لا تتحركان من شدة الأعياء ، ورجلاي مشلولتين فلا تستطيعان الحركة ، وكنت ألهث من شدة الإرهاق ، وأتنفس ببطء ، ولم يزدني البحر إلا لهبا فوق لهب ونارا على نار وبقى الفلفل في داخلي منتصرا في معركة حامية الوطيس .

وبقيت أكثر من ساعة وأنا منطرح على سطح التشالة بين الموت والحياة ، ثم ذهبت في سبات عميق عدة ساعات وعندما أفقت من نومي صعدت الباخرة ، وكان الربّان في انتظاري ، بعد أن دعاني إلى مقصورته ، وقد دار بيني وبينه حوار وحساب ، ولوم وعتاب . وقال : هل تعلم أن السباحة في هذا المكان ممنوعة؟

قلت : إن كنت تريد الصدق ، نعم أعلم ذلك ، قال : إن هذا المكان عامر باليرايير ؛ لذلك فقد عممت على مساعديّ قرار المنع لكي يبلغوه إلى كل من يصعد على ظهر الباخرة ، وقد بلغك هذا القرار ومع ذلك فقد تحديته ، لماذا؟

وشرحت له الأمر من أوله إلى آخره فضحك ضحكات مستمرة عندما علم بنبأ الطعام ، والمعارك التي كانت تدور في جوفي ، فتنعكس على كل جارحة من جوارحي ، ثم قال في النهاية : لقد كنتَ سباحا ماهرا عندما تحديت التيار ، ولهذا السبب فإني لن أتخذ أي إجراء ضدك ولكن أرجوك ألا تكرر السباحة في هذا المكان الخطر ، أرجوك لأنني مسؤول أمام السلطات الكويتية عن كل خطأ

---

* دغر : كلمة عربية معناها هجم بشدة .

يقع على ظهر الباخرة ، ولو حدث ـ لا سمح الله ـ شيء معك لكنت أنا في خطر ولكن الحمد الله على السلامة وفي الأمان .

ثم ودعني ، وفي اليوم الموالي انتهت مهمتنا جميعا على ظهر الباخرة «سرنثوس» التي غادرت مياه الكويت إلى جهة أخرى بعد أن انتهت مهمتها هي الأخرى .

## وقفة في الحي القديم

(١)

عندما أوقفت سيارتي في منطقة قديمة من مناطق مدينة الكويت ، وبين أنقاض بعض البيوت الخربة ، حيث تنتشر الأقذار ، وتنبعث الروائح الكريهة ـ تجمهر بعض الصبية حولها متعجبين من صاحبها الذي قادها إلى هذه الجهة المهجورة . . . .

أما أنا فلم أحفل بنظراتهم الحادة ولم آبه بتعجبهم البادي على وجوههم ، بل نزلت من السيارة ، ثم اتجهت إلى رقعة من الأرض فيها بقية أطلال ورسوم ، كانت منذ أربعين سنة بيوتا عامرة تأنس بساكنيها وتعمر بهم . لقد كان هذا المكان ملعبا شاديا لي ولرفاقي . . .

كانت رائحة البخور تتصاعد من هذه السكك ، ورائحة الطعام الشهي المتفاوح تنعش النفوس ، وتحيي العزائم . . . أما اليوم فلا أشتم منها إلا ما يزكم الأنف ويقزز النفس .

كانت هذه الأزقة في يوم من الأيام تخفق بالحياة والحب والأمل الباسم ، وإذا بها اليوم موحشة الجنبات مخيفة المسالك ويحف بها اليأس من كل جانب .

أكانت هذه حقا مسارح لعبي وهواي؟ أكانت هذه الأطلال يوما مصدراً للعزّ والمجد؟ أين انغامها التي كانت تتهاوى في الآفاق؟ وأين أسمارها التي طبقت الأرجاء؟

وقفت طويلا بين الأنقاض ، والتراب المتراكم ، وأكوام الحجارة وأنا أتأمل

أحوال الدنيا ، فإذا بالخيال يجمح بي بعيدا إلى هناك ، إلى أيام حلوة ، ذهبت ولن تعود . . . إلى أيام الطفولة والهناء . . . لقد كنت أبحث ـ جاهدا ـ عن سكة معينة ، وعن أبيات معينة ، بين هذه الخرائب الدارسة . لقد نسيت نفسي ، ونسيت مجموعة الأطفال ، ونسيت سيارتي . فأنا منذ حللت هذه البقعة ، وكأنني في محراب للعبادة والتهجد . فلا أشعر بما حولي ، ولا أحس بمن يخطر بقربي في هذه الساحة العجيبة .

لقد وجدت ضالتي بعد جهد جهيد . أهذه السكة هي السكة التي ولدت في أحد أبياتها . لقد ضاعت معالمها ، وهدمت مساكنها إلا القليل . وطوقتها الشوارع المنظمة من كل جانب ولعبت بها يد الزمان ، ومعارك الدهر .

وأخذت أسير بين بقايا البيوت خفاق الفؤاد ، مرتجف الجوانح . . . وأنا خائف كل الخوف من عدم نجاح مسعاي ، أنني أبحث عن البيت الذي ولدت فيه ، وعشت فيه سبع سنوات من حياتي . لقد جئت اليوم بعد غياب سنوات طويلة ، قد تبلغ الأربعين . . . جئت . . . لا تستهويني الصروح الباذخة ، ولا القصور الشامخة . . . بل جئت لأبحث بين الأطلال عن أشباح لا يومض فيها سراح لماح ، ولا تؤنس وحشتها الأرواح .

فأين إذن هذا البيت؟ وأين إذن تلك السكة التي كانت في يوم من الأيام مشرقة بأهلها ، شادية بأعذب أغاني الحياة؟

السكة هي السكة . . . إنها هي . . . وإن لعب الزمان بهيئتها السابقة ، وشوهها الدهر بمفاجآته ، بحيث لم يبق من بيوتها إلا ما يقارب الثلث أو الربع . . . وحتى هذا . . . لم يسلم من التشويه والخراب .

لقد تأكد لدي أن هذه السكة هي ضالتي المنشودة ، بعد أن رأيت بعيني بعض معالمها التي مازالت منطبعة في خيالي ، برغم التغييرات التي أجريت عليها ، قبل أن يعمل فيها معول الدمار .

هذا بيت الحاج عبدالله ، وبجواره بيت ـ أبو خالد ـ . . . . ولكن أين بيت أم راشد؟ وأين البيت الذي يجاوره ، وهو البيت الذي كان يسكنه صديق الطفولة أحمد وأخوه جاسم ، وبيت ثالث لا أذكر ساكنيه . أين تلك البيوت الثلاثة ،

التي كانت مجاورة ، لهذه البيوت الباهتة ، المرسومة في الخيال؟ الذي يعيش في أعماقي .

وتقدمت خطوات أخرى نحو كنزي المفقود ، الكنز الثمين الذي باعدت الأيام بيننا وبينه ووقفت مشدوها أمام خربة قل أن وجدت مثلها حتى في تلك الأيام الغابرة . . . أيام الكفاح في أعماق البحار . . . أيام النصب والإرهاق . . . أيام الأنس والأفراح . . . أيام الحب والصفاء . . . أيام القناعة والرضا . . .

هذه الخربة لم تكن إلا مسقط رأسي . . . لقد عرفتها . . . عرفتها رغم الدمار الشامل . الذي حل بها .

## وقفة في الحي القديم
(٢)

حاولت أن أدخل البيت من بابه القديم ، ولكن هيهات . . . هيهات . . . لقد كان خلف الباب من الداخل مخلفات آخر الساكنين ، سدت الباب إلا قليلا ، إنها فتحة لا تسمح بدخول أنحف إنسان في هذا الوجود ، فدرت دورة حول البيت ، ولحسن الحظ وجدت أحد جدرانه مهدما ، وهو الجدار الذي كان يفصل بينه وبين بيت (أبو مرزوق) . وخفق قلبي فرحا وغبطة . فدخلت البيت من أرحب الأبواب ، وهو باب فتحه الزمن قهرا برغم كل القيود .

إذن لم أستطع دخول بيتنا السابق كما كنت أدخله منذ أربعين سنة . . . بل دخلته خلافا للعادة . . . كما كنت أفعل بعض الأحيان في طفولتي عندما أدق الباب فلا أسمع الجواب ، لغياب أهلي . . . لأي سبب من الأسباب . . . فكنت أدخل البيت إما بالقفز من أقصر جدار في المنزل ، وإما عن طريق بيوت الجيران ، كما فعلت اليوم ، عندما اقتحمت هيكل البيت عن طريق بيت (أبو مرزوق) . . . الذي لم يبق منه إلا أرضه أما حجراته فقد أصبحت قاعا صفصفا . .

وقفت في عين المكان الذي كان بالأمس عريشا أتفيأ ظلاله أنا وجميع أفراد

العائلة في أيام الصيف اللاهبة . . . فهو محل قيلولتنا ، ومكان أكلنا ، ومقر راحتنا ساعات طويلة من يوم الصيف الطويل . كنا نقضي وقتا طويلا في هذا المكان ، الذي كان مريحا هادئا . . . وباردا أيضا بالنسبة إلى الحجر القديمة . . . أين هذا المكان من غرف اليوم المكيفة النظيفة الباردة؟ إنني لو عدت اليوم إلى عريش الأمس بعد عيش الرغد ، لما استطعت صبرا ولو لبرهة وجيزة . . . في هذا الجو الخانق ، فكيف كان صبري في ذلك الزمان ، على تلك العيشة القاسية؟

وتذكرت شيئا مهما . . . تذكرت (الملالة) التي كانت تعلق في العريش . . . الملالة التي كانت بمثابة الثلاجة في هذه الأيام . فكان يوضع فيها مختلف أنواع الطعام ، لحفظه من التلف ، وخوفا عليه من القطط الغازية التي كانت تبحث في تلك الأيام الشحيحة عن رزقها . . . شأنها شأن كل المخلوقات . . .

وقفت واجما في محل العريش وعلى يساري حجرة قديمة ، نالت الأيام من سقفها ، فبدا (المنقور) المهترئ ظاهرا للعيان . (والجندل) المتآكل متدليا فوق الجدار . . . والأنقاض المتراكمة في داخلها ، تقف حجر عثرة في وجه كل من يحاول اقتحامها . . .

يا الله ! كانت هذه الغرفة هي عروس الغرف . . . فهي سكن للعائلة جميعها ، وهي غرفة للطعام ، وللجلوس ، وللراحة ، فيها سمعت أحسن القصص ، وأحلى الحكايات وعلى يميني كانت فوهة البئر . تلك البئر التي كانت مصدر النظافة للبيت ومصدر السعادة في أيام الصيف . . . فهي بالإضافة إلى استعمال مياهها المالحة للابتراد ، فقد كانت تستعمل للتبريد ، ففيها توضع زجاجات الماء العذب الحار ، ليصبح باردا بعد دقائق . . . . وفيها يوضع البطيخ بنوعيه الأحمر والأصفر (الرقي والبطيخ) ليصبح باردا لذيذا عند الأكل . . .

وكانت أمامي غرفتان متماسكتان بفعل التجديد الذي مسهما في السنوات الطويلة التي تلت خروجنا من المنزل في أواخر الثلاثينات . أما الأولى ، فكانت للمئونة . . . وأما الثانية فقد كانت خاصة بجدتي .

وأما حوش البيت ، فقد بدا لي صغيرا جدا . وقد كان في أيام الطفولة كبيرا

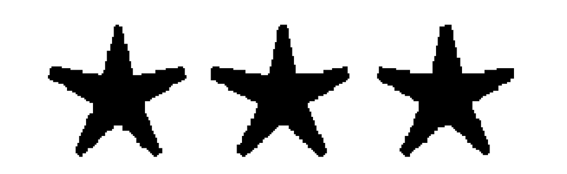
جدا كما كنت أتصوره . إن مساحته هي هي لم تتغير بعد أن أمعنت النظر جيدا في معالمه . ولكنني أنا الذي تغيرت ، فقد استطلت وكبرت ، أما البيت فبقي كما كان في شباب زمانه وزماني ، وقد سكنت بعد ذلك في بيوت واسعة كبيرة لو وضع هذا البيت في زاوية من زواياها لأصبح «ملحقا» صغيرا لها .

كل هذه الذكريات ، وغيرها انثالت على خيالي ، وأنا واقف في هذه الخربة ، ولست أدري أوقفت ساعة من زمان ، أم وقفت أكثر منها بكثير ، بحيث لم يعدني إلى عالم الواقع سوى صوت طفل من الأطفال الذين رأيتهم عند قدومي في إحدى ساحات المنطقة . . . . فقد هالهم أمر «الزائر الغريب» الذي دخل هذه الخربة ولم يخرج . . . فتقدم مني أحدهم قائلا :

«هل تبحث عن شيء يا عمي»؟

وأفقت من حلمي اللذيذ . وقبل أن أجيب الطفل عن سؤاله ، خرجت من محل الذكريات ، واتجهت نحو سيارتي التي كانت تجثم غير بعيد عني . وغادرت المكان ، وبي شوق شديد ، ورغبة ملحة للوقوف مرة أخرى في تلك الخربة ، التي كانت في يوم من الأيام مسكني الهادئ الجميل ، وملعب هواي ، ومصدر سعادتي ، ومسرح آمالي وأماني . وأي جواب أبلغ من هذا الجواب الصامت؟ !

أما الأولاد فقد دلفوا إلى الخربة ، بحثا عن شيء مجهول ربما تركته ، أو خبأته في زاوية من زواياها ، ولعل بحثهم قد طال ، حتى نالهم الإعياء ، فرجعوا إلى لعبهم ، ومرحهم ، وسعادتهم . بعد أن عكر صفوها زائر غريب ، غريب .

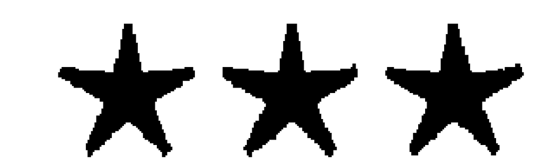


# الضباب والوجه اللبناني

* بالحب وحده ينبت الرماد *

زهرة صب بيضاء
احترقت
قذفت باللعنة في وجه الإنسان
احترقت
ماتت
غارت
تحت رمال الموتى
رحلت عن تيه العظماء
راحت عن أحلامهم الحمراء بعيدا
شربت من إرهابهم المهجة موتا
سكنت تحت رمال المنكوبين
وفوق رماد المصعوقين
وبين عظام المظلومين
تلملم من حلمهم الموؤود الفجر الكامن
في ليل الأزمنة السوداء
عادت ،
عادت ،
وانسلت ،
أخفت خنجرها في قلب المجنون الأحمق ،
في رئة العظماء
فتجاسر بالحب الصب أنيس الخلوات

يدفعه طيف يتراقص في عرض السموات
في فمه نغم عريان
ألبسه الأطفال حروفا :
الباء ثم الياء
والراء قبل الواو
والتاء أتمت الكساء
فصاح الكل بنغم واحد :
بيروت أيا بيروت



# مختارات

## من قصص فاضل خلف

### مجموعة (أحلام الشباب):

- من أجل البقاء
- حضرة المدير
- التميمة
- عودة البطل.

### مجموعة (أصابع العروس):

- المصير

# من أجل البقاء

بقيت الفكرة الجديدة تتبلور في مخيلة شريفة عدة أيام . ثم صممت على تنفيذها وكيف لاتنفذها وهي تحس في قرارة نفسها أنها مضطهدة من قبل حماتها (أم جاسم) وإنها لتتذكر جيداً تلك الليلة السوداء التي هجمت عليها فيها وانهالت عليها شتما ومهانة وهددتها قائلة «إن لم تسيري حسب ما أمليه عليك فسأطلقك ، وأزوج ابني فتاة تشبه القمر» إنها لا تتأثر بالشتم والسباب مهما كان نوعها وتتقبل كل كلمة تصدر من حماتها ، ولكن كلمة الطلاق تحمل بين طياتها معنى كريها ترتجف أوصالها عند سماعها ، وخير لها أن تمزق إربا إربا وتحرق بالنيران من أن ترجع إلى بيت أبيها مجلببة بالحزن والعار ، وهي لا تطيق سماع كلمة الطلاق لأنها شهدت منذ عامين طلاق أختها الكبرى ، ورأتها كيف تعود إلى منزل أبيها كئيبة شاحبة الوجه . وظلت الأسرة عاما كاملا مسربلة بجلباب الحداد على الحادثة المؤلمة وشهدت كيف تحول المنزل إلى كهف موحش غاضت فيه البسمات وهجرته المسرات . فهل تنكب هي الأخرى أسرتها من جديد؟ صحيح إنها شرسة الطباع ، تنقصها الأخلاق الفاضلة ، ولكنها لن تعيد تمثيل المأساة في منزل أبيها مرة أخرى مهما كلف الأمر ، ولن تخرج من منزل زوجها إلا على أكتاف المشيعين .

ألم تقل لها أمها عند زفافها «اسمعي يا شريفة ستخرجين من منزلك الذي عشت فيه أيامك الماضيات إلى منزل غريب عنك ، فغيري طباعك يا ابنتي ولاتنكبينا ، كما نكبتنا أخت لك من قبل . ادخلي بالعباءة واخرجي بالكفن» إن هذه الكلمات ما زالت ترن في مسمعها ، ولكنها هل تستطيع تبديل طباعها؟ هذا هو السؤال الذي كانت تفكر فيه . وحاول زوجها جاسم ـ وهو شاب متعلم ـ أن يغير طباعها ويرفع مستواها الاجتماعي ، ولكن الفشل كان رائده دائما . ورغم ذلك لم يجد اليأس سبيلا إلى نفسه . كلما فشل في إصلاحها عاود الكرة وكلما ثار النزاع بين أمه وبينها انحاز إليها ، وأصبح في صفها ، وأخذ يلوم أمه ، وكلما رأت زوجته انحيازه إليها تمادت في غيها وغرورها وعبوسها . والحماة

لاتطيق تصرفاتها فتثور عليها وعلى زوجها ، وقد قالت لها مرة لو كنت أعلم أن ابني سيحبك كل هذا الحب ، ويتركني لما اقدمت على زواجه حتى يدركه المشيب ، فلم يهدأ بالها حتى نقلت هذه الكلمات إلى زوجها في ثورة جامحة كما نقلت قبلها كلمات وكلمات فيها من المبالغة شيء كثير . وهدفها الأوحد الاستئثار به وطرد أمه ، ولكنها لم تفلح في محاولاتها ، وهي لاتلين أبدا لحماتها لأنها إن استخذت واستسلمت ، ستلقي بها في عرض الطريق في يوم ما ، وهذا أخوف ما تخافه ، لذا كانت تحاول أن تكون هي سيدة البيت .

وحاولت الحماة بكل ما لديها من سلطان أن تبقى كما كانت الأمرة والناهية . أما هذه الدخيلة المتعجرفة فيجب أن تذهب إلى الجحيم ، يجب أن تأخذ محلها إلى جوار أختها المطلقة . وبقيت شريفة ستة أشهر على هذا المنوال دون أن تنجح في زحزحة الحماة عن مركزها ، لأن جاسماً ، وإن كان يلوم أمه أحيانا بحكم العاطفة ، إلا أنه لم يفكر يوما في الانفصال عنها وتركها وحدها وجها لوجه أمام الأيام ، وهذا ما كان يغيظ شريفة ويستثير حفيظتها لأنها إن ظلت أكثر من هذه المدة دون أن توقع حماتها في الشرك فستفلت الفرصة من يدها وتفوز غريمتها وتذهب هي إلى هناك . . إلى جوار أختها ، فما العمل؟ وهكذا فكرت في حيلة بارعة تختصر لها الطريق . . طريق الفوز . . وتبلغ بعد ذلك الهدف المنشود .

***

وأحس جاسم رائحة غريبة في الطعام . . أهذا معقول؟ أيمكن أن يحدث هذا؟ ومرّ أسبوع وإذا بالرائحة تتكرر فاستغرب هذا الحدث ، ولكنه لم ينبس بكلمة ، لأن أمه هي التي تطهو الطعام ، وقد أعفى زوجته من الطبخ لتنصرف إلى نواح أخرى من شؤون المنزل ، وبعد أيام عادت الرائحة إلى الظهور ، ونادى زوجته وقال لها :

ـ هذه ثالث مرة أحس فيها رائحة النفط في الأكل . والنفط كما لا يخفى عليك سم بطيء . فأين العناية؟ وأين النظافة؟ فقالت :

ـ أظن لا يخفى عليك أن أمك هي التي تطهو الطعام ، وسكت على مضض . ولم تمض أيام معدودات حتى أحس بالنفط في أكله أيضا . فطلب من زوجته أن

تقوم بعملية الطبخ فانقطع النفط . وعادت أمه إلى الطبخ فظهر النفط . وكاد يجن جنونه ، وكلم أمه في الأمر ، ولم تكن دهشتها أقل من دهشته ، وأقسمت بأغلظ الأيمان ، أنها تعتني كل العناية بالطبخ ، ولكنها لاتدري هل الشيطان هو الذي يلقي بقطرات النفط في الأكل أم هي التي تلوث الطعام من حيث لاتدري . وثار مرة على أمه ، ووقفت زوجته تبتسم ابتسامات الفوز والغلبة . وأيقنت أن زوجها سيلقي بأمه في عرض الطريق . أو يتركها للشيطان ، ويذهب هو وإياها بعيدا عن نظرات حماتها الشزراء ، ليعيشا في جو ملؤه السعادة والهناء ، وكلما أحس جاسم برائحة النفط ، غضب وزمجر ، واتهم أمه بقلة العناية ، وامتدح زوجته أمامها . أما هي أما شريفة . . أما الكنة فكان قلبها يرقص طربا ، ومنت نفسها بالحرية الحمراء ! !

وصارت أم جاسم حزينة كئيبة ، وتلاشت الابتسامة عن شفتيها وحل محلها عبوس وتجهم ، وانشغلت بنفسها ، وكفت عن مهاجمة كنتها وحتى الدفاع عن نفسها إن تطاولت عليها . وشعرت أن منزلتها أخذت تقل في نفس ولدها . وصارت تفكر بالنفط . . النفط في الأكل؟ ! يا للجريمة؟ ! من أين يأتي هذا النفط؟ إنها تغسل الأواني جيدا ، وتتحاشى الاقتراب من مكان النفط في المطبخ ، فمن أين يأتي إذن؟ والغريب أن شريفة إن طهت الطعام لاتظهر فيه رائحة النفط؟ وهذا ما يزيدها غرابة ، وهمًّا وقلقا . . وخطر لها خاطر . أيمكن؟ أن تكون هي البطلة؟ إنها في أكثر الأوقات لا تأكل ما تطبخه حماتها ، فهل تستطيع أم جاسم أن تفهم شيئا من هذه الظاهرة؟ ولم تجد هذه الأسئلة جواباً قاطعاً عندها .

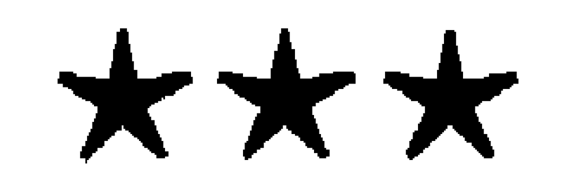
وجلست أم جاسم ذات يوم بعد أن طهت الطعام متبرمة بالدنيا ومن فيها ، وكانت كنتها شريفة تغسل الملابس ثم قامت مسرعة ودخلت المطبخ فجأة ، وقبل أن تخرج شبت النار في القدر ووصل اللهب إلى السقف ، وصاحت الكنة تنادي حماتها ، وجاءت مسرعة واستفسرت :

ـ ماذا حدث يا شريفة؟ فأجابت بتلعثم :

ـ لقد لقد . . سقطت زجاجة . . النفط من يدي . . في القدر . فقالت الحماة بشيء من الدهشة :

ـ وكيف وقعت الزجاجة من يدك؟ ولم قمت من محلك مسرعة ، ورفعت الزجاجة من مكانها لتلقيها في القدر؟ فقالت وهي تبلع ريقها :

ـ أردت . . أردت . . لم أقصد . . لم أقصد . . لست أدري . . وماتت الكلمات على شفتيها ، وفهمت أم جاسم كل شيء وفهم جاسم كل شيء .



## حضرة المدير

ترى ماذا أراد المدير من استدعائه إليه؟ كان المدير مصمما على مفاتحته في أمر هام لولا الزائر الذي اقتحم الغرفة فأجل كلامه إلى وقت آخر ، إنه يود لو أن ذلك الزائر تأخر قليلا حتى ينهي المدير حديثه معه بل إنه يود لو أن ذلك الزائر كان على شيء من اللياقة فلم يقطع عليهما خلوتهما . ولما اعتذر إليه المدير بخصوص تأجيل المكالمة أراد أن يرجوه عدم إنهاء الحديث لولا الحياء الذي منعه من ذلك . لقد خرج من غرفة المدير وهو يحرق أسنانه على ذلك الزائر الدخيل الذي حرمه من معرفة السبب الذي من أجله استدعاه المدير ودخل الغرفة واسترخى قليلا خلف مكتبه ثم أشعل سيجارة وأخذ ينظر إلى سحب الدخان التي خيمت في جو الغرفة ثم استعاد في ذهنه الكلمات القليلة التي أسرها له المدير .

ـ إنني دعوتك يا عبد العزيز في أمر يتعلق بوظيفتك .

وتوقف المدير قليلا . . آه لو تم الحديث ! إذن لكان في اطمئنان تام : ولكن ياترى ماذا يرمي من وراء هذه الكلمات؟ وماذا كان يريد أن يقوله؟ إنه دعاه في أمر يتعلق بوظيفته ، فما هو ذلك الأمر؟ لقد فكر طويلا ثم اهتدى إلى الأمر ، ألا يقصد المدير أنه سيرفعه إلى درجة أكثر من درجته؟ ألا يقصد أنه سيزيد مرتبه؟ ربما . . . بل هو يقصد ذلك تماما . إنه يشتغل في هذه الوظيفة منذ بضع سنوات ، وقد أتقن عمله كل الاتقان ، ولا يذكر أنه تهاون قط في واجبه فهو يحضر إلى الإدارة قبل الدوام ولا يخرج إلا بعد أن ينصرف جميع الموظفين .

ولطالما تحدث الموظفون عن إخلاصه ، حتى المدير لم يخف شعوره نحوه ، ولقد قال له مرارا «إنك يا عبد العزيز مخلص جدا . . . إنك يا عبد العزيز ساعدي الأيمن . . . وثق أن أتعابك لن تذهب هباء» . إذن لا يريد المدير استدعاءه في أمر وظيفته إلا ليرفعه ماديا ومعنويا ، وما كادت هذه الفكرة تسيطر على مخيلته حتى ارتاح كل الارتياح وخالطته نشوة غريبة سرت في كيانه وتركته في شبه غيبوبة .

ولكنه انتبه فجأة على إثر النار التي كوت أصابعه من جراء انتهاء السيجارة «فرماها بعيدا وأخذ في تفكيره السابق . إن الأدلة تضافرت على صحة تخمينه . ولكنه ود من صميم فؤاده لو أن الزائر الثقيل خرج قبل انتهاء الدوام ليتمكن من الاتصال بالمدير ثانية . ليطلع على جلية الأمر وأخذ يردد النظر في ساعته تارة ، وفي ساعة الحائط تارة أخرى . وهو يتململ ويتأوه وينهض من مكانه ليرى هل خرج الضيف الثقيل . وحدثته نفسه باقتحام غرفة المدير لينهال عليهما لوما وتقريعا ينهال على الزائر لأنه حرمه من أمتع اللحظات الفاصلة في حياته وينهال على المدير لأنه صرف ساعتين من عمله في كلام سخيف بينما كان عليه أن ينفق تينك الساعتين في محلهما ، وأخيرا دق جرس المنبه معلنا انتهاء الدوام . فخابت امانيه وتحطمت آماله ووقف مدة من الزمن لا يدري ماذا يفعل .

وخرج المدير مع الزائر . فثاب عبد العزيز إلى رشده وأراد أن يدلف إلى غرفته . لولا أن رأى المدير يحييه قبل خروجه . وردت تحيته إلى قلب عبد العزيز ميت الآمال . فرد التحية بأحسن منها . لقد كانت ابتسامة المدير العذبة أعظم برهان على نجاح تكهناته ولو لم يكن الأمر كذلك لما حياه بتلك البشاشة التي تنم على الرضى والسرور . إنه إذن سيرفع منذ الغد وسيطرأ تحول سارّ في مجرى حياته ، خرج عبد العزيز من الإدارة ، وهو أكثر الناس بهجة وسرورا . إن الأرض تكاد لاتسعه وإن رجليه تكادان لا تقويان على حمله من فرط الاغتباط إنه سيرفّع غدا دون أدنى شك .

وقادته قدماه إلى شارع الأمير أو السوق الداخلي ليزور المكاتب . ويشتري كتبا جديدة على شرف الترقية المنتظرة . إنه لم يقتن كتبا منذ مدة فلم لايقتني

الآن وهو على أبواب زيادة محققة ، ودلف إلى (مكتبة الطلبة) وأخذ يقلب الكتب ، وينظر في الرفوف ويطيل الوقوف أمام الكتب الجديدة . إن الكتب جميعها مفيدة حقا ، ولكن كل كتاب يختلف عن الآخر .

وانتقى من بينها بضع كتب قيمة واتخذ سبيله إلى المنزل .

***

وقضى عبد العزيز ليلته في أحلام مبهجة تارة ، ومزعجة تارة أخرى ، فطورا يرى المدير في منامه وهو يبشر بالمجد المنتظر ، والترقية العظيمة فيستيقظ من نومه نشوان فرحا ، وطورا يراه في صورة لا تبشر بأي خير ، فينهض من فراشه مذعورا قلقا . وما كاد الفجر يلوح في جنبات الفضاء حتى ترك الفراش وصلى الصبح وقرأ ما تيسر من القرآن الكريم . وبعد أن حان الموعد ذهب إلى الإدارة . وكان أول من دخلها بعد الخدم . وأخذ يرقب اللحظة السعيدة التي يطلبه فيها المدير . وجاء المدير وعبدالعزيز على أشد من جمر الغضى . ومرت ساعة وتلتها ثانية حسبهما سنتين من الزمان . وأخيرا استدعاه المدير ، فأخذت دقات قلبه تتزايد ويسمع لها صوتا ، وانعقد لسانه وأخذ يبتلع ريقه . . كل ذلك من الفرح الذي استولى عليه وأمره المدير بالجلوس إلى جواره ، وقدم له سيجارة ثم قال له : «اسمع يا عبدالعزيز إنني في الحقيقة أشكرك كل الشكر على خدماتك النزيهة ومجهوداتك الفذة وإخلاصك الذي لا حد له إنك في نظري واحد من أولئك الشبان الذين يخدمون وطنهم بصمت وسكون ، دون أن ينتظروا جزاء ولا شكورا» وسكت المدير ليجذب نفسا من سيجارته . وهنا حلق عبدالعزيز في سماء من النشوة والحبور . . إن المدير يطري أفعاله وخدماته توطئة لذكر الترفيع المادي والمعنوي ، إنه إذن أخطأ في عدم إطلاع أمه بالأمر وأخطأ في عدم إطلاع الزملاء والأصدقاء ولكن الفرصة أمامه وسيخبرهم عما قليل واستأنف المدير كلامه : «ولكن شابا في مثل نبلك وإخلاصك لا يأنف من التضحية ـ إن طلب منه ـ إذعانا للأمر الواقع» وسكت ولكن عبدالعزيز لم يفهم من الكلام الأخير شيئا إن المدير يتكلم بالرموز وهو لا يفهمها «التضحية ، إذعانا للأمر الواقع» ما هذا؟ وتمنى لو رزقه الله في تلك اللحظة فحسب ، القدرة على قراءة الأفكار

ليفهم مرامه في أقل من لحظة واحدة ولكن هيهات ، وأضاف المدير «أصارحك يا عبدالعزيز . . بأن شابا يدعى «وديع» قدم نفسه ليشغل منصبا في هذه الإدارة وهو يحمل شهادة لا بأس بها وسأضعه في وظيفتك على أن تشغل أنت وظيفة أقل منها درجة ولكن راتبك على كل حال سيبقى على وضعيته وأنا شخصيا بودي لو بقيت في وظيفتك ولكنني مكتوف اليدين يا عبدالعزيز فاعذرني . .»
وما كاد المدير يصل إلى الكلمة الأخيرة حتى كانت الدنيا قد اسودت في عيني عبدالعزيز وشعر بدوار عنيف أصابه وتحسس أطرافه وأخذ ينظر إلى المدير تارة وينظر ما حوله تارة أخرى ليتأكد من نفسه وهل هو في يقظة أو حلم مخيف؟ ولكنه مع الأسف كان في عالم اليقظة .

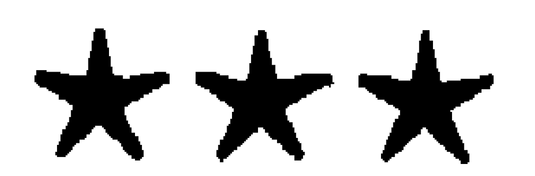
وانتبه أخيرا من هول الصدمة فقال للمدير «ولكن يا حضرة المدير أرجوك أن تفكر قليلا إن خدماتي الطويلة في هذه الدائرة تخولني حق الاستمرار في وظيفتي دون أن ينازعني فيها منازع ـ وإن كان من حملة الشهادات ـ بل تخولني الترفع ماديا ومعنويا إنني أرجوك أن تكون في عوني لأنك أعرف الناس بي وأنا قبل كل شيء وبعد كل شيء في حماك ثم إن هذا الشاب يحتاج إلى مدة لا تقل عن السنة ليتدرب على هذه الأعمال كلها . . فقال المدير «قلت لك إنني مكتوف اليدين ولا أستطيع أن أعمل شيئا أبدا لأن الأمر خرج من يدي الآن وسيستلم السيد وديع عمله في هذا المساء» فقال عبدالعزيز (ولكن يا حضرة المدير هذا ظلم عظيم وكيف تسوغ لك نفسك أن تكون ظالما وتسلبني حقوقي ، إن يد الله فوق الجميع وكل ظالم سيبلوه الله بمن هو أكثر قوة منه» فقال المدير «إنني لا أفهم ما تقوله يا عبدالعزيز وخذها كلمة صريحة أنت لا تحمل شهادة وهو يحمل شهادة» وعندها ثارت الحمية والنخوة في رأس عبدالعزيز وصاح بصوت سمعه أكثر الموظفين .

«اسمع يا حضرة المدير إنك تتكلم عن الشهادات فلماذا لا تبرز أنت شهادتك لنراها . أجل أين شهادتك أنت؟ أنت أنت يا مدير الإدارة أنت يا من تتشدق بالشهادات إنني أعرف قصدك تماما» .

فاضطرب المدير قائلا «أنا . . أنا شهادتي أنا . . ماذا تقول أمامي . . شهادتي

أنا . . إنني مدير . . ولا يحق لك . .» .

لقد فكر حضرة المدير في كل شيء إلا في هذا الأمر . .أجل فكر في كل شيء إلا في هذا الأمر .



## التميمة

لم ترزق أمينة مولودا منذ أن تزوجت ، قبل خمس سنوات . إن صويحباتها وجاراتها اللاتي تزوجن معها أنجبن أكثر من مولود واحد ، وها هم يملأون المنازل بهجة وسعادة .

أما هي فظلت تعاني الغصص والآلام وتستهدف لنقد زوجها وسخريته . لقد شيدت في مخيلتها . . قصورا من الآمال والأحلام . . وترقبت آثار الحمل يوما بعد يوم ، وعجلة الزمن تدور بدون جدوى . وكلما مر عام أخذت تلك الأماني العذاب تنقلب إلى تفكير مضطرب يشوبه الألم والمرارة واعتزلت الناس حتى لم ترَ نساء الحي منذ أمد بعيد ، ومن ثم أخذت نضارة وجهها تتلاشى ليحل محلها الانقباض والكدر ، وبشاشتها تضمحل لينوب عنها الابتسار والضجر ، ولازمها حقد للإنسانية جمعاء . . حقد أخذ ينهش فؤادها ، ويدنو بها إلى القبر . ولم لا تحقد؟ أليست إنسانة قبل كل شيء؟ أليس لها قلب ينبض وشعور يحس !ألا تشعر في قرارة نفسها أنها مطعونة في الصميم؟ وأي طعنة هذه؟ إنها طعنة تقضي على مستقبلها الذي كانت تبسم له ، وتنتظره بمزيد اللهفة . إن صبر زوجها كل هذه المدة ، فإنما هو يجاملها ويرق لما يعصف في قلبها ، فإذا طالت المدة . . ستنفصم عرى الزواج ، ويبحث عن أخرى تنجب له مولودا يؤانسه في حياته ويعينه على متاعب الحياة وويلاتها . . ثم يخلد ذكره بعد مماته . لقد ذهبت إلى الأطباء مرارا عديدة وأنفقت كل ما تملك يمينها ، وقترت على نفسها وزوجها العامل البسيط الذي لا يتجاوز مرتبه اليومي ، ثلاث روبيات . وباتا على الطوى سنوات في سبيل معالجة هذا الداء الوبيل ، فلم يصلا إلى حل ناجع ولم تنس الذهاب إلى بعض الناس الذين يكتبون التمائم والتعاويذ ، ولكنها خرجت من

كل ذلك بخفي حنين .

وبينما كانت جالسة في أحد الأيام على عادتها في دارها ، أو بالأحرى كوخها الحقير دخلت عليها «سليمة» وهي إحدى صويحباتها اللاتي تستأنس بهن . فجلست إلى جوارها ، ولكنها لم تبادلها الحزن والكآبة كما اعتادت في كل مرة وإنما كانت آثار الانشراح والغبطة تبدو واضحة في قسمات وجهها ثم قالت :

ـ أبشرك يا أمينة بشارة طيبة وستكون بحول الله في صالحك ، وسيتبدل مجرى حياتك ومستقبلك لقد هبط البلد رجل صالح وقد استفاد منه الناس فائدة كبيرة واسمه العالم عبدالخالق فلا تفرطي بهذه الفرصة الثمينة التي أنت أحوج من كل أحد إليها .

فنظرت إليها أمينة باهتمام زائد وتفرست في وجهها مليا ثم قالت برنة الأسى والألم :

ـ كلا يا عزيزتي لن أذهب إلى أي إنسان بعد اليوم . كفى ما تحملته من عذاب وحرمان . ذهبت إلى كثيرين فلم يستطيعوا إطفاء الجمرة المتقدة بين جنبي ، ولن يستطيعوا ، دعيني يا سليمة أقبع في عزلتي وأعاني ما أعانيه .

ولكن الجارة العزيزة لم يعجبها الرد وحسبت ذلك من جراء اليأس الذي ألم بصديقتها ، فلابد إذن من مساعدتها وإبعاد اليأس عن قلبها فقالت :

ـ أنت مخطئة يا أمينة إن هذا الرجل ليس كمن تعهدين ، إنه رجل ورع تقي ، وهب كرامات جليلة ، أتعرفين جارتنا أم عبدالمحسن ، التي عجز الأطباء عن معالجتها وإرجاع الصحة إليها . إنك لا شك تعرفينها ، وعندما أخذوها إليه استطاع بعمله وحكمته أن يرجعها إلى سابق صحتها وعافيتها . وسمعت أن طفلا في التاسعة من العمر أصيب برمد خطر ، فما كتب له تميمة ، حتى رد إليه بصره ، وقد كان شفاؤه من المستحيلات وهناك كثيرون لا أذكرهم وعلى كل حال فقد طبقت شهرته الآفاق وعرفه كل من في البلد . وماذا يضير يا عزيزتي ذهابك إليه وعرض قضيتك عليه؟

ولكن أمينة أصرت على عدم الذهاب وآثرت العزلة والانطواء حتى يقضي الله بأمره . إلا أن صديقتها استطاعت إقناعها ، وأخذت تبشرها بالمستقبل الزاهر

الذي ينتظرها فوافقت .

***

كان العالم جالسا بجوار أوراقه ومحابره حينما قرع الباب ، فقام متثاقلا . وما كاد يفتحه حتى قالت :

ـ سيدتي إن جارتي هذه فتاة بائسة ، تزوجت منذ خمس سنوات ولم يحالفها الحظ في إنجاب الأطفال ، وثقتنا بك عظيمة بعد الله ، أن تعمل لها شيئا يشفيها من دائها ويخفف عنها بعضا من آلامها .

فتنحنح ، ونظر إليها برهة ثم قال :

ـ . . . ولكن داءها عضال يستعصي علاجه في كل إنسان . إن إنجاب الأطفال ليس بيد البشر ، إنما هو من الله سبحانه وتعالى . . ولكن سأعمل ما في وسعي لمساعدتها . وسأكتب لها تميمة تعلقها في رقبتها ، وأرجو أن يوفقها الله . . ولكن . . ثم التفت يمنة ويسرة وخفض من صوته ، وقال : «إن هذه التميمة لا تتم إلا بعشر روبيات ، فإن كانت تملكها سأكتبها لها بكل سرور» .

وصدقت سليمة . . وكيف لا؟ ! إنها سمعت عنه أشياء كثيرة تدل على ورعه وتقواه ، فكيف تسوغ نفسه اغتصاب هذا المبلغ من فتاة بائسة؟ وما سبب هذا الطلب؟ إن التميمة تتكون من ورقة صغيرة وقطعة من القماش وقليل من الحبر فهل هذه الأشياء تستحق كل هذه الدراهم؟ وهل هذا هو العالم الذي سمعت عنه؟ أهذا هو السيد عبدالخالق الذي طبقت شهرته جميع البلد؟ إنه هو بعينه ولكن شبح الطمع قد تسرب إلى نفسه ، ولو لم يكن كذلك ، لما تقدم بطلبه العجيب المخجل ، وقلبت الأمور على وجوهها دون أن تصل إلى حل ما . ثم قالت :

ـ ولكن يا سيدي ، لا تنس إنها فقيرة لا تستطيع أن تفي ببعض هذا المبلغ ثم ما هو السبب في طلب النقود على عمل خيري كهذا العمل؟ فقال :

ـ إنها حرة في أمورها إذا لم تستطع دفع المبلغ ، فلترجع من حيث أتت ، وهل تظنين أن هذا العمل لا يحتاج إلى عناء وتفكير .

أما أمينة فسمعت ما دار بينهما دون أن تتفوه بكلمة واحدة وبما أنها أتت إلى

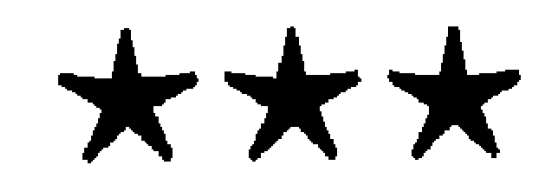
هذا المكان . . بعد أن سمعت عن العالم إشاعات خارقة فلم لا تقبل طلبه وتعطيه ما يريد . . إنها تملك هذا المبلغ . لقد ادخرته مقابل ما طحنته للجيران من حنطة ، وذرة وحناء وغيرها وكانت قد احتاطت للأمر وحملت النقود معها لهذا الغرض . . ثم قالت :

ـ سأعطيك يا سيدي ما تريد . . وعجل بكتابة التميمة . . ثم دست يدها في جيبها وناولته الدراهم فأخذها وأمرهما بالجلوس ريثما يتم العمل ، ولم يمر ربع ساعة إلا وكان كل شيء حاضرا قد انتهى وأخذت أمينة التميمة ورجعت مع صديقتها العزيزة بعد أن حذرها عاقبة فتحها .

وكان لأمينة أخ يدرس في المدرسة الثانوية ، وما أن سمع عن التميمة حتى تاقت نفسه لقراءة ما تتضمنه ، وحدثته نفسه عن سر عجيب يكمن داخلها وأخذ يتحين الفرص لسرقتها . وزارها في أحد الأيام وهي منهمكة في أداء واجباتها المنزلية ، فأخذ التميمة وكانت موضوعة في المطبخ وقد أخرجتها من رقبتها لسبب ما .

فاستخرج الورقة الداخلية وإذا فيها أسطر سقيمة الخط مضطربة الألفاظ والمعاني ، استطاع أن يقرأ أسطرا قليلة منها وهي :

«ما أسخف هذه العقول ! ! لقد أخذت الدراهم وسأنفقها كما أشاء وأهوى . . وأعطيتها هذه الورقة التي لا تغني فتيلا . إن هؤلاء الناس يأبون إلا أن يبذروا نقودهم هنا وهناك . ولا يعلمون أننا أجهل من في الأرض . وغرهم مظهرنا الخداع الكاذب . أما أنت أيتها الساذجة المسكينة فانتظري اليوم الذي ترزقين فيه بمولود ! ولا أعتقد أنك تدركينه وإنما ستذهبين إلى القبر حاملة بين جنبيك حسرة وكمدا . . فانتظري أيتها الساذجة . . . انتظري . .» .



# عودة البطل(*)

كان الشيء الوحيد الذي فكر فيه أهالي بيدنزا عندما دخلتها جيوش الحلفاء بعد إخراج الألمان منها في صيف ١٩٤٥ ، هو إرجاع تمثال بطل القرية على قاعدته ، وكان قد انتزع من محله في بداية الحرب لحمايته من خطر القنابل وأخفي في كهف أحد الجبال . وكان يمثل رجلا عاريا وعلى كتفه نسر . بيد أنه لم يكن جميلا للغاية وقد أنشئ قبل عشرين سنة لذكرى فولكو فيراسكو الذي فقد حياته في محاولة لعبور المحيط الأطلسي في طائرته . وكانت محاولته هذه ، إحدى المحاولات الفاشلة التي حدثت قبل محاولة لندبرغ . ولم يسمع أحد بعد ذلك شيئا عن بطل هذه المغامرة ومهما يكن من شيء فإن فولكو فيراسكو هو السبب في شهرة قريته وخلودها في التاريخ .

كانت بيدنزا قرية خاملة الذكر بالنسبة إلى القرى المجاورة التي كان في كل منها تمثال خصص لمواطن شهير . ففي الشمال كانت فينسي حيث ولد فيها ليوناردو دافنشي ، وفي الشرق كانت سان كاسيانو وطن ماكيافيلي ، وفي الغرب سان منياتو حيث عاش الشاعر كاردوكسي .

أما هذه القرية المتواضعة بيدنزا فلم يكن فيها شخصية هامة ، أو بطل عاش أو ولد فيها ، حتى جاء ذلك اليوم ، الذي حقق فيه فولكو فيراسكو حركته التاريخية لعبور الأطلسي وحيدا في طائرته . لقد فقد حياته في الواقع . . ولكن مواطنيه نالوا الخلود بموته . ولذا ما كاد الألمان يخلون بيدنزا ويدخلها الأمريكان حتى هرع السكان جميعا إلى الكهف وأعادوا التمثال إلى القرية باحتفال شعبي رائع ، لإحياء ذكرى صاحبه .

وفي تلك الأثناء كان أنطونيو فيراسكو يتطلع من نافذة منزله التي كانت مطلة على الميدان الذي سيجري فيه الاحتفال وهو ابن عم فولكو ، ولقرابته هذه فحسب بات من المنتظر أن ينتخب محافظا للقرية في الانتخابات القادمة . وكان يفكر بشأن خطبته التي سيكتبها خلال ساعة أو ساعتين ، ويلقيها بمناسبة إرجاع

(*) للكاتب الإيطالي أندرو مونتانيلي مترجمة عن مجلة أركوسي الإنجليزية .

تمثال بطل القرية إلى قاعدته ، وإذا بخادمه بادستا يدخل عليه ليبلغه بأن قسيسا من جيوش الحلفاء يطلب مقابلته . فأمر بإدخاله ثم ذهب لمقابلة الزائر . ولم يكن القسيس تابعا لجيوش الولايات المتحدة الأمريكية ، وإنما للقوات البرازيلية التي كانت قد احتلت قرية مجاورة . كان القسيس رجلا طويل القامة مرهوب الجانب له لحية شهباء كثة ، فبادره قائلا بلهجة إيطالية صحيحة : «إنني الأب كريستوفرو» فأجابه أنطونيو : أهلا وسهلا بك ، هل أستطيع أن أقدم لك خدمة ما؟ فقال الرجل «أشكرك بيد أنني أظن أن ليس هناك أي شيء تقدمه لي . ولكن ـ ثم يتلفت يمنة ويسرة ثم أضاف بصوت خافت ـ هل نستطيع التحدث هنا بحرية تامة بحيث لا يمكن لأحد أن يسترق السمع» فأجاب أنطونيو بدهشة واضطراب : «كن مطمئنا ولا تخف» فقال الرجل : «كان في هذا المنزل بالذات باب في تلك الغرفة يؤدي إلى قسم الخدم ، فأصبح مهجورا الآن ، وعصب الزمن بالخدم فذهبوا إلى دون رجعة ، ولم يبق إلا ذلك الشيخ الهرم الذي رأيته الآن «فابتسم أنطونيو وحدج الرجل بنظرة استغراب واستفهام وقال : «ولكن . . كيف عرفت أن الباب كان في هذه الغرفة ومن أين تعرف الخدم؟ وما أدراك بهذا المنزل؟ فابتسم الأب كريستوفرو بلطف ، ثم وضع يده في جيبه واستخرج صورة قديمة ، سلمها إلى أنطونيو ، وكانت هذه الصورة لسيدة كبيرة معها طفلان ، فصاح أنطونيو دهشا : «آه يا إلهي ! ! إنها كراني فرانسيسكا ! ! آه يا عزيزتي كراني» . ثم رفع عينيه وأخذ يتطلع في وجه القسيس بنظرات ملؤها الشك والعجب والخوف ، بينما البسمة لا تفارق ثغر الرجل ، وما لبث الاثنان حتى تعانقا بكل حرارة وشوق . فلم يكن هذا الرجل سوى المغامر الجريء فولكو فيراسكو الذي ستحتفل القرية برجوع تمثاله على قاعدته . وبعد أن قص فولكو تفاصيل مغامرته قال أنطونيو : «والآن ماذا قررت أن تعمله؟ أعتقد أنك آت لتمكث بين ظهرانينا؟» .

فتفحص فيه فولكو بتمعن ، وأدرك أن في سؤال ابن عمه علامات الخوف أكثر من علامات الأمل ، فقال : كلا إني لا أقصد المكوث هنا ، لقد كنت وحيدا في هذا العالم وكان أقرب إنسان لدي هو أبوك ، الذي استحثني على القيام

بالمشروع . اسمع إني لا أقصد لومه . لقد أحبني كما أحب كل فرد في الأسرة ولكنه أحب قريته الصغيرة بيدنزا فوق الجميع وكان عمدتها ولذا فإنه بذل كل ما يستطيع لكي يحوز نصرا لبلدته ، وإقامة تمثال فيها . وهو لم يكن يقصد التخلص مني لأنه لم ينل مني إلا الخير ولكنه أراد أن يكون مجد بيدنزا على يدي . وإنني أعلم علم اليقين أنه لمح فيّ منذ أن كنت صبيا ، صفات تؤهلني لهذا المشروع ولذا فإنني تحملت تبعة ذلك المشروع ، لإسعاده ، لا لأنني كنت أشعر بأنني بطل من الأبطال . وإن كنت الآن نلت تلك الرتبة .

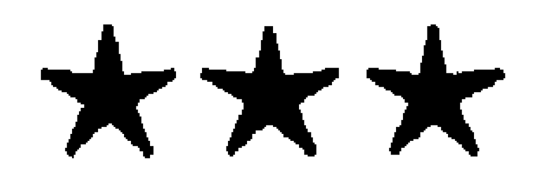
وزيادة على ذلك ، لقد اهتديت إلى النبع الرقراق . . اهتديت إلى الإيمان . إنني لم اهتد إلى الإيمان في ذلك الوقت الذي أنقذني فيه قوم من المبشرين بين أشلاء طائرتي المحطمة كلا . . وإنما فضلت الإقامة معهم على الرجوع لكيلا أعكر سرور أبيك وخصوصا حينما أنشأ التلمثال بعد سماعه بالنهاية المزعومة . ولم أهتد إلى الإيمان عندما أصبحت راهبا بعد سنتين من الحادث في البرازيل . إنني فعلت ذلك لكي أتمكن من تبديل اسمي ، لئلا أكون سببا في شقاء عمي الذي يفتخر بأنني مت في سبيل مجد بيدنزا وهكذا أصبحت بطلا على الرغم مني . . وكذلك أصبحت مؤمنا على الرغم مني ، وإنني الآن لن أرضى بتغيير ملابسي الكهنوتية ، ولذلك لن أبقى بينكم . . وتوقف عن الكلام بينما كان أنطونيو مرتبكا للغاية . لقد كان فولكو ابن عمه ولصلته به نال ما لا ينال غيره . ثم واصل فولكو حديثه «سأمكث معكم أياما معدودات ، لأزور أصدقائي القدماء ، وأرى ملاعب صباي ومسارح هواي ، وأتذكر أياما عفى عليها القدم ، فقال أنطونو : «نعم هذا صحيح ولكن أتدري بأنه سيجري بعد قليل احتفال عظيم؟» فقال فولكو : «ماذا؟ احتفال؟» فأجاب : «نعم احتفال وهو احتفال بمناسبة رجوع تمثالك إلى قاعدته ، لقد ذهب الناس أكثرهم إلى الكهف لإحضاره وكانت الغيرة عليه قد دفعتهم فأخفوه من شر المدافع . وها أنت ترى أكثر البيوت قد هدمت بالمدافع . وأعتقد أن الناس هنا جميعا حتى الذين فارقوا منازلهم بعد خرابها ، كانوا يسلون أنفسهم بعودة التمثال سليما إلى قاعدته . فقال فولكو وهو يبتسم «هل هم يحبونني إلى هذه الدرجة؟» ، فقال أنطونيو : بل أكثر من

ذلك ، إنهم يأخذون الأزاهير يوميا إلى التمثال في مخبئه . وفي أيام الآحاد تذهب جوقة موسيقية لتعزف نشيدا خاصا عنوانه «سلاما يا فولكو» وقد ألفه على شرفك مستر باروديا أتذكره؟ إنه لا يزال على قيد الحياة وهو كلما يسمع ترنيمته الخالدة يبكي بتأثر بالغ» فاستفسر فولكو «هل يبكي علي أو على نفسه؟» فأجاب أنطونيو «ربما للاثنين معا . هذا وقد أطلق القوم هذا الاسم فيراسكو على المستشفى وفرق كرة القدم ، وأربعون بالمائة من الأطفال ، لاسيما الذين ولدوا حديثا يحملون اسم فولكو ، حيث كان هذا الاسم مختصا بعائلتنا فقط» فقال فولكو وهو يبتسم : «آه يا ربي ! من يصور لي مدى سعادة هؤلاء النجباء عندما يعرفون أنني مازلت حيا أرزق؟ !» فقال أنطونيو : «سيسرون جميعا طبعا ولكن» . فقال فولكو «ماذا يا أنطونيو؟» فأجاب أنطونيو : «أقصد أنهم سيفقدون تمثالهم الحبيب إن عرفوا أنك على قيد الحياة . . إنك تعرف جيدا ما أقول لأنك إن كنت بينهم حقيقة بملابسك الكاملة ، هي تبقى فائدة لذلك التمثال العاري الذي يجثم النسر على كتفه ! إنهم سيسرون إن عرفوا أنك على قيد الحياة ولكنهم على كل حالة قد ألفوا التمثال الحبيب الذي خلد مجد بيدنزا . . التمثال الذي يباهون به بقية القرى المجاورة مثل فنسي وسان كاسيانو وسان ميناتو وفوق ذلك سيقولون : لقد كنا نملك تمثالا حبيبا في عهد الفاشيستية ، بينما الآن عندما دخلت الديمقراطية أرضنا فقدناه . إنهم سيكونون سعداء بلقائك ولكن . . لم تضحك؟» فقال فولكو : «إنني أضحك لاضطرابك هذا يا ابن العم . . ولكن لا تهتم أبدا سيبقى التمثال في محله . . وأنا الذي سأغادر البلاد منذ الآن ، حرصا على مجد بيدنزا وحفظا للوفاء الذي بيني وبين أبيك» .

***

وقبل أن تتكامل جموع المحتفلين المتهللة ، أنهى أنطونيو فيراسكو خطابه القيم على شرف بطل القرية الذي سيعاد تمثاله إلى قاعدته . وعندما بدأ الحفل أخذت أصوات الجماهير تشق أجواز الفضاء ، واقتحمت الكاتدرائية التي كان فيها الأب كريستوفرو أو فولكو فيراسكو راكعا أمام الصليب ، وهو يتضرع إلى الله بهذه الكلمات بينما ألقى رأسه على صدره :

«أيها الإله العظيم اغفر ذنوبهم ، واغفر ذنوبي أيضا ، أنت يا من تقرأ كل ما يدور في نفوس مخلوقاتك ، وتعرف كذلك أن قلبي ليس طافحا بالزهو والخيلاء ، وإنما هو مليء بالتسامح . . التسامح الذي ألهمتني إياه لأطلب منك الغفران لذنوب الناس ولأحبب إليهم عزة النفس وحب الخلود» .



## المصير

ـ في عمق العينين ألمح أحزانك . .

قالها فتعلقت بها كل مسافاتي الزمنية . . أصحيح للأحزان رؤى لا يمحوها غير صانعها المبدع في توزيع ألوانها الرمادية؟ !

. . . إن الفارس الجديد يحاول كبح جماح أعتى الخيول القهرية . . المسرعة بي إلى أين؟ ! . . لا أدري ! . . ولكن هل سيفلح؟ أتراه يستطيع؟ . . . إن العاديات في صدري هيّجت الموسيقا . . وأدماني سماعها . . جعلت روحي تقهر نزعتي الترابية ! . . .

ـ في عمق العينين نهر حنانك يخفي أسئلة حيرى ! ! . .

قالها الفارس الجديد . . بيدأن مصيبتي فيه أنه بعيون زرقاء ، وبشرة بيضاء مشوبة بالاحمرار ، وأنف صغير مرفوع إلى أعلى ، وشفاه صغيرة رفيعة ، وشعر كثيف أشقر . . قالها خليطا من الإنجليزية ، وبعض الكلمات العربية . . ولكن هل يفلح في تخليصي من ألمي الممرور ، وخوفي المذعور . . ممن يحاول طيفه تقريعي على إدماني عذوبة الآلام . . أسيحررني من قيد فارسي الأول الذي ترك خيوله تركض في عشوائية المفزوعين فاتحا الأجواء لأنغام (الموسيقا) المفضلة لديه والمحببة جدا إلى قلبه لتلهب هذا الركض في جوفي . . لقد نطق الفارس الجديد بالكلمة ، بيد أنها ليست كتلك الكلمة التي رفعت درجة احمرار الكرات الدموية الحمراء في وجهي . . وكان لي مع الفارس الجديد موقف ، ولكنه ليس كالموقف الذي كنت فيه قبالة فارسي الأول أتوسل قائلة :

ـ لو تركتني فلن أعيش يوما بعدك . . فكيف وأنت تراني أعشق كيفية جذبك للأشياء . . . وأتملاك وأنت تنفث في الهواء . . . دخان سيجارك الكوبي . . . وأقف مسحورة أمامك ، وأنت تحدق في عيني تارة ، وترتشف قهوتك تارة أخرى ، و (الموسيقا) تصب في مسامعنا أغلى الألحان .

أخالك يا حبيبي وأنت تشعل سيجارك كحارس يتلصص على الذي يكمن في الطريق إلى قلبي ! ! . .

وتحولت في استعطافه إلى قطرات ماء ، لكنه تركني ومضى . . تركني إلى موعد لم يحدده . . إلى أمل لن يقترب ، بعدما رفضه والدي ، لم أقتل نفسي كما قلت ، وعشت بعده ، ولكن بهيئة ريشة تحملها الرياح على الأكف الحانية بعدما عشقتها الرياح . . . ريشة حية تسمع وترى وتحس .

كان أبي صاحب مشاريع وتوكيلات من بلاد عجيبة غريبة . . آخرها مدينة لندن . . تلك المدينة التي يقتلها الزحام في النهار ، وتحييها الأضواء في الليل . . . أب عصامي مكافح . . في كل ليلة تحترق أعصابه من أجل مشاريعه ومن أجلي أنا . . . فأنا وحيدته بعد أن توفيت أمي منذ سنوات ـ التي تتحرك بنبض في حياته ، أما الباقي فمحركات انقطعت عنها الكهرباء .

ومع ذلك كنت سأضحي به لو شاء حبيبي أن يأخذني معه . . . ورغم ذلك لم يرحم توسلاتي ذاك الحبيب . . ذاك الفارس الأول وودعني إلى الأبد . . . وسافرت مع والدي في رحلة عمل إلى لندن . . . أصر على اصطحابي معه . . . تمنّعت في البدء ، بيد أني خشيت لو تركني وسافر وحده يعود فيجدني خرساء بعين شاخصة إلى الموت . . . . أردت أن أنسى ، وشئت البحث عن سلواني . . . تمنيت أن أجد في تغيير المناظر متعة تعجل بنسياني . . . أليس البشر الجدد وعاداتهم مدعاة للبعد عن النفس المحطمة؟ . . . ومن أجل ذلك آثرت الرحيل مع والدي . .

وفي مطار لندن تقابلت مع الفارس الجديد . . . كان مغايرا لزملاء والدي من حيث صغر سنه . . شاب في الثلاثين يتعامل بأحجام مالية في مشاريع تصارع أحجام ما يقوم به أبي من أعمال . . . أبي الواقف علي رأس الخمسين من العمر ! !

وأخذنا (التاكسي) إلى (الهيلتون) . . . وفي الطريق بحثت عن قلبي فلم أجده . . . فأين قلبي؟

هل ترك قلبي ضلوعي وتوغل في البعد البعيد . . . في الماضي . . . حيث الليالي التي كنت أقابل فيها حبيبي الغادر؟ ! هل سافر قلبي إليك أيها الحبيب؟ ! أنت يامن عنّفني من أجله والدي . . . وتوعدني وهددني بالحرمان من الميراث . . . وقتها قلت لا يهم . . مادمت أحب ، لكنك تركتني . . . تركتني أجرب تجربة حب جديدة مع هذا الفارس الجديد الجالس إلى جانب والدي في المقعد الخلفي يحادثه في شؤون المال والمشاريع .

سائق (التاكسي) الإنجليزي بدا كأنه قد أحس ارتجافة انبعثت إليه من ضلوعي . . . كان بين الفينة والفينة يختلس النظر إلي . . . وعلى وجهه تبدو مخايل الذكاء . .

بدا أبي كأنه قد تناساني تماما وانشغل بالحديث عن عمله وحساباته والعقد الذي ينوي توقيعه مع صاحب العيون الزرق ، والتوكيلات التي يمكنه الحصول عليها من شركة موريس للسيارات ، وعقود البلّور من مصانع (كريستال) .

انتهت ساعات النهار بطيئة جدا . . وفي الليل وعلى الرغم من أن تعب السفر قد هد قوانا إلا أنهما ـ أبي والفارس الجديد ـ اقترحا أن نقضي السهرة في ملهى غير ملهى (الهيلتون) المزدحم ، واتفقنا على أن تكون السهرة في (الشيراتون) .

وفي الملهى الليلي حاول الشاب الأشقر الحديث بالإنكليزية فسخرت منه قائلة :

ـ أعتقد ان لهجتنا تحمل نسيم البحر .

فابتسم في خجل وقال :

ـ أنا فخور بها .

ـ من؟

ـ زوجتي الإنكليزية فهي معيدة بمدرسة اللغات وتجيد الإسبانية ، وتتكلم الإيطالية بطلاقة . أقول ذلك رغم أننا منفصلان جسديا منذ سنين .

قلت في استخفاف :

ـ تقول ذلك وكأنك لم تولد عربيا . .

ـ أمقت الرمال والطرقات وأشعة الشمس الحارقة . .

قالها فازدادت سخريتي منه وأدرت الحديث إلى الكلام عن الرقص والأنغام الموسيقية المتباينة ، لكنه عاد ليسألني عن استمتاعي بالليلة قائلا :

ـ سعيدة؟

ـ أظن ذلك . . لقد استمتعت بكل شيء . . . . الموسيقا والرقص . . . العشاء . . ونسيت نفسي لبضعة لحظات قليلة ، ولكني نسيت أن أسألك !

ـ ماذا؟

ـ أتحب زوجتك الإنكليزية؟

ـ جدا .

ـ وتريد أن تتزوجني؟ !

ـ وماذا في ذلك؟ ألديك مانع؟ . . . إنني أحببتك . منذ اللحظة الأولى . . . والقرار قرارك الآن فهل تحبينني؟ .

ـ قلت في سخرية .

ـ بالطبع لا . . كيف أحب بهذا الشكل ، وبهذه الصورة . . إنه جنون .

ـ جنون لذيذ يصلح لنهاية القرن العشرين .

وافترقنا . . وجاء الغد يحمل لي أغلى المفاجآت . . جاءني بلحظات صفاء تخفت فيها الأصوات . . . ترتاح القسمات وتضيء البسمات خفايا الوجود . . . جاءني بوجه أعز إنسان لدي . . . شكرت في نفسي سائق التاكسي الذي دلني بإشارة غيبية على مكان حبيبي وفارسي الأول الذي ضمني وإياه القدر .

# مختارات

## من شعر فاضل خلف

### ديوان (٢٥ فبراير)

- مهرجان الحبّ.

### ديوان (على ضفاف مجردة)

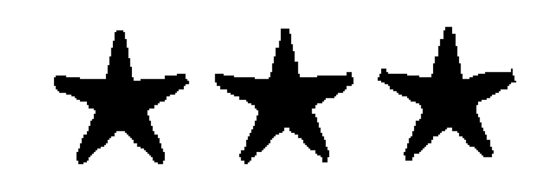
- هجرة البلبل
- الفردوس المفقود.
- جبل طارق.

### ديوان (كاظمة وأخواتها)

- الشباب بين الأزهار... والإنسان

## مهرجان الحبّ

ضُمّي فَتاك فَإنّهُ صَبُّ
كُلُّ الجَوانحِ لِلْهَوى نَهْبُ
ظَمآنُ والغدرانُ دافِقَةٌ
لَكنَّ وردَكَ وَحْدَهُ عَذبُ
خَبَت العَواطفُ غَيْرُ واحدَةٍ
في قَلْبيَ الحَسّاس لَمْ تَخْبُ
هيَ حُبُّك الغَالي فَلا سَكَتَتْ
خَفَقاتُهُ أو يَسْكُت القَلْبُ
خَفَقاتُ قَلبي ليسَ يوقِفُها
مَوتٌ وليس يَضيرُها خَطْبُ
فَقُلوبُ أهلِ العِشق خَالدَةٌ
وتراب أربابِ الهَوى رَطْبُ
ضُمّي فَتاك الصَّبَّ في لَهَف
لولا حَنانُك ما ارتوىَ الرَّكْبُ
وَتَفَجَّري حُباً وَعَاطفَةً
إنَّ الفَتى مُتَعَطِّشٌ صَبُّ
جَوّابُ آفاق يُؤرِّقُهُ
لَيلُ المُحِبِّ ويؤلِمُ الدَّربُ



أرضَ الكُويت وأنت فاتنَتي
لَمْ يُثْنني بُعدٌ ولا قُرْبُ
حَوَّمْتُ في الأمصار مُغْتَرباً
قَلقَ الوساد ونابَني كَرْبُ
وبَقيتُ في آفاقها زَمَناً
خَلْفَ الصُّفوفِ وليسَ لي ذَنْبُ
وَتجرَّعَتْ روحي مَرارَتَها
لَكنَّ عَزْمي قطُّ لَمْ يَكْبُ
ولأجْلِ صَفْوِ الحُبِّ ما بَدَرَتْ
منّي الشَّكاةُ ولا بَدا العَتْبُ
أنتِ الحبيبةُ إنْ حَنَنْت وإنْ
يَكُنِ الجفاءُ فإنَّكِ الحَبُّ
أرضَ المحبَّةِ سامحي فلَقَدْ
ظَمِئَ الفُؤادُ ومَسَّهُ جَدْبُ
ولَئِنْ ظَمِئْتُ أنا فما ظَمِئَتْ
فيكِ الجُموعُ وما غَفا الشّرْبُ
فالغَيثُ ذُو الريحانِ مُنْهَمِرٌ
غَمَرَ البلادَ ولَمْ تَنِ السُّحْبُ
وَتَنَزَّلَتْ بَرَكاتُهُ فإذا
هُوَ وابلٌ فَتَبارَكَ الخِصْبُ
وَطَني لِواؤُكَ طائِرٌ أبداً

هُوَ والبَواشقُ والعُلا سِرْبُ

وبمجدكَ الشَّادي قد ازدَهَرتْ

بيضُ الصَّحائفِ وانتشَتْ كُتْبُ

وبنوكَ من أيَّامِ كاظمَةٍ

خُطُواتُهمْ نحوَ العُلا وَثْبُ

روحُ التَّسامُحِ في سَجيَّتهمْ

سلْمٌ أظَلَّتْهُم أمِ الحَرْبُ

فإذا الخصيمُ بَغا فليسَ لَهُ

إلاّ الرَّدى والمرتَقى صَعْبُ

سَائلْ رُبَى الجَهراء عَنْ نَفَرٍ

هبّوا فكان العزُّ إذ هَبُّوا

هَبُّوا فكانَ النَّصرُ رائدَهُمْ

فَهُمُ بآفاقِ الهُدَى شهْبُ

بَذلوا النُّفوسَ وكُلُّهُم بَطَلٌ

وبمثلهمْ يتواصَلُ الكسْبُ

شهداءُ قد روّى الثَّرَى دَمُهُمْ

فَسَمَوا به وتَسامَت التُّرْبُ

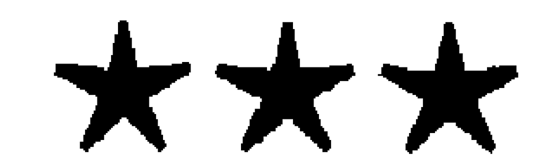
أختَ البحارِ تَدَفّقي دُرَراً

فَمنَ البحارِ تدفَّقَ السكْبُ

وبنوكِ بَيْنَ مياهها قِمَمٌ

ما صَدَّهُمْ شَرْقٌ ولا غَرْبُ

وَعلَى صُدور المَوْج مَلْعَبُهُمْ
وَمَعَ العَواصِف كلُّهم صَخْبُ
وَطني وعيدُكَ باسمٌ غَرِدٌ
زاه فحسبُكَ رفْعَة حَسْبُ
وافى وأطْيارُ الربيع شَدَتْ
في رَحْبها وتموّجَ العُشْبُ
وَغَداَ الشَّذا المعْطارُ منتَشِراً
بَيْنَ الرُّبَى واخضَوضَرَ الرُّحْبُ
وَطَني وَهَذا العيد قَدْ خَفَقَتْ
فيه المَحبَّةُ وازْدَهَى الشَّعْبُ
وَشَدا الشَّبابُ بكُلِّ ناحيَةٍ
والكلُّ في شَرع الهَوى حِزْبٌ
وبمهرَجان الحُبِّ يا وَطَني
بَيْنَ الشُّداة تَوارَت الحُجْبُ
فالحبُّ في وُجْدانهمْ قَدَرٌ
والحُبُّ بَينَ بُنودهمْ قُطْبُ



# هجرة البلبل

يا مُوحيَ الشِّعرِ بالأنغامِ والْغَزَلِ ... وناشرَ العطرِ منْ نوّارِه الخَضِلِ
وباعثَ الحُبِّ منْ أعْماقِ خافقِهِ ... وواهبَ الفيضِ منْ شَلاّلِه الهَطِلِ
وصائغَ الْفَنِّ لا يَسمو لرفعتِهِ ... شَادٍ من الحَيِّ منْ غَضٍّ ومُكْتَهِلِ
وساهرَ اللّيلِ والأسْحارُ شاهدةٌ ... يَصوغُ أَلْحانَهُ منْ مزْهَرٍ ثَمِلِ
وباسطَ الْكَفِّ للأضْيافِ في سَمَرٍ ... مُعطّرٍ بنَشيدِ الحُبِّ والغَزَلِ
وباسمَ الثَّغْرِ في حُزْنٍ وفي فَرَحٍ ... ومؤْنسَ الصَّحْبِ في جدٍّ وفي هَزَلِ
ومُنْشدَ اللَّحْنِ منْ قَلْبٍ قدْ اتقدَتْ ... أقْطارُهُ بلَهيبِ الأعْيُنِ النُّجُلِ
تلكَ العُيونُ الّتي قدْ زانَها كَحَلٌ ... تُوحى منَ الشِّعرِ فذّاً غَيْرَ مُبتَذَلِ
فَنٌّ يَميسُ بألحانٍ قدِ انْبَجَسَتْ ... منْ ذرْوَةِ الملأ العُلْوي والقُلَلِ
يارائدَ الشِّعرِ إنَّ الدَّوحَ قَدْ صَمَتَتْ ... أطْيارُهُ بَعْدَ هَجْرِ البُلْبُلِ الجَذِلِ
وصَوَّحَ الرَّوْضُ لا الأزهارُ راقصةٌ ... كَسابقِ الْعَهْدِ في أيّامِها الأوَلِ
ولا المُروجُ كَما كانت بسنْدُسِها ... تُشيعُ في النَّفسِ أنْساً غَيْرَ مُرتَحلِ
وأصْبحَ النَّغَمُ المسراحُ مُكتَئِباً ... قَدْ أخْرَسَتْهُ عَوادي الحَادثِ الجَلَلِ
فَهجرَةُ البلبلِ الصَّدَّاحِ قَدْ جَعَلتْ ... رَوْضَ الْقَريضِ بلا مَجْدٍ ولا أمَلِ
فَلا حَساسينُ تَشْدُو في خَمائلهِ ... ولا شَواهينُ تَحْمي شَاهقَ الجَبَلِ
ولا بَلابلُ بالتَّغريدِ صادحَةٌ ... تُغْري المُحبّينَ والسُّمّارَ بالقُبَلِ
ولا عنادلُ في إنشادِها طَرَبٌ ... للْعاشقينَ وَصَرْعَى اللُّعْسِ والكَحَلِ
صَمْتٌ مَهيبٌ يَلُفُّ الدَّوْحَ في ضَجَرٍ ... والْفَنُّ لا يَزْدَهي في مَرْبَعٍ عَطِلِ

***

يا مبدعَ الشّعرِ قَدْ وافى الرَّبيعُ وَما زالتْ قَوافيكَ خَلْفَ السِّتْرِ والْكلَلِ
فَهلْ وَجَدتَ بدارِ الخُلْدِ ما نَشَدَتْ آمالُكَ الشُّمُّ في الأبْكارِ والأُصُلِ؟
فَرُحْتَ تَسرَحُ في نُعْمَى وعافيَةٍ تَعُبُّ منْ سَلْسَبيلِ الخَمْرِ والْعَسلِ
تُغازلُ الحُورَ في شعْرٍ مُنَضَّدُهُ تَهْفُو إليه قُلوبُ الحُورِ في جَذَلِ
تُعانقُ الرَّوْحَ والرَّيحانَ في شَغَفٍ مُستَمْتِعاً بنَعيمٍ غَيْرِ مُنْتقلِ
فَصِفْ شُعورَكَ والتُّفَّاحُ تَلْثِمُهُ وَقَدْ عَلَتْ صَفحَتَيْهِ حُمْرَةُ الخَجَلِ
وصُغْ عُقودَكَ والرُّمَّانُ تَهْصِرُهُ وَقَدْ أمِنْتَ عَوادي اللَّومِ والعَذَلِ
أَنْشِدْ قَصيدكَ فالأنْهارُ دافِقَةٌ وَقَدْ غَدَتْ بَهجةَ الأسماعِ والْمُقَلِ
أطْلِقْ نَشيدكَ فالأطْيارُ شاديَةٌ تُسَبِّحُ اللهَ في إنْشادِها الجَزِلِ
وانْشُرْ بيانَكَ فالأدْواحُ زاهيَةٌ وقَدْ تَردَّتْ بَديعَ الحَلْيِ والحُلَلِ
وصِفْ حَياتَكَ في عَدْنٍ وبَهْجَتَها إذْ كُنْتَ فينا حَليفَ الْهَمِّ والْفَشَلِ
يا فَهْدُ (*) إن البلادَ اليَوْمَ في ظَفَرٍ قَدْ بَلَّغَتْ رِفْعَةً في الْقولِ والْعَمَلِ
نالَتْ منَ النَّصْرِ والأمْجادِ ذروتَها وأصْبَحَتْ قِبْلَةَ الْقُصَّادِ والرُّسُلِ
أعْلامُها قَدْ غَدَتْ في الأُفْقِ خافقَةً تُسَجِّلُ الْمجْدَ مَجْدَ الظافرِ البَطَلِ
تَهيمُ بالْمُثُلِ العُلْيا وتَنْشُدُها في كُلِّ رَبْعٍ منَ الأمْصارِ والدُّوَلِ
شَعَّتْ مآثرها في كُلِّ ناحيَةٍ وفاضَ نائلُها في كُلِّ مُحْتَفَلِ
فَعِشْ سَعيداً بدارِ الخُلْدِ حَيْثُ غَدا
مَجْدُ الكويتِ، بِحَقٍّ، مَضْرِبَ المَثَلِ

* فهد العسكر

# من (الفردوس المفقود)

حَدِّثينا يا فلَسْطينُ فَقدْ ... شَفَّنا الوَجْدُ لِما خَلْفَ السُّدود
كيفَ بَيّاراتُك الزُّهْرُ وهَلْ ... أقفرتْ من أغنيات وقَصيد؟
والمُروجُ الخُضْرُ مَا حَلَّ بها ... بَعْد هَجرِ الأهلِ للرَّبْع المَشيد
كيف شُطآنُك في إشراقها ... واصطفاقُ المَوج في البحر المديد
كيْف أطيارُكَ هلْ ظَلَّت على ... سابق العَهْد بتَرْديد النَّشيد
كيفَ ساحاتُك بالله وهَلْ ... وَدَّعَتْ ألحانَ قيثار وعُود؟
أينَ أمْجادُك هلْ أزرَتْ بها ... حادثاتُ الدَّهْر بالغَدْر الأكيد؟
والبُطولاتُ أحَقًّا صُرِعَتْ ... وتَلاشَتْ بيْنَ وَعْد ووَعيد؟
وذُرا حَيْفا ويَافا هلْ غَدَتْ ... مَرْبَعاً خِصْباً لِغَدْرات الضَّديد

* * *

بَرَّحَ الشَّوقُ فلَسْطينُ بِنا ... لِرُبوعِ المَجْد والعَهْد السَّعيد
واستَبَدَّ الشَّوْقُ في أنحائنا ... فأعيدي سالفَ المَجد أعيدي
وابْعَثي النَّخْوَةَ في أسْدِ الحِمى ... ورجالٍ يَصْنَعونَ المَجْد صِيد
يؤْثِرونَ المَوْتَ في ساحِ الوَغَى ... ومَجاليها عَلى عَيْشِ العَبيد
يَجْتَوُونَ الذُّلَّ في أصفاده ... ويُطيحُونَ بأسْلاكِ الحُدود
لا يَهابُونَ صَواريخَ العِداَ ... لا ولا يَخْشَوْنَ طَاقاتِ الحُشود
وإذاَ النِّيرانُ في آفاقِهمْ ... غَشيَتهُمْ هَتَفوا : هلْ من مَزيد؟
يا فِلسطينُ اهتفي ثمَّ اهتِفي ... بِهمُ يأتُوك بالعَزْمِ الوَطيد

إنَّهم فـــتْـــيـــانُ صـــدْق هَزئوا    بمُـــعـــدّات ونَار وحـــديد

وهُمُ فَـــخْـــرُ الأعـــاَريب إذاَ    أغْطش اللّيلُ وهُمْ خَـــيْـــرُ جُنُود

فـــاسْـــألي الأمْـــجـــادَ عَنْهُمْ فَـــهُمُ    في ذُرَا أوراَس أو في بُورْ سَـــعـــيـــد

واذْكُـــري بَطْشَـــهُمُ في خَـــصْـــمـــهمْ    صـــاحب العُـــدَّة والجَـــيْش العَـــديد

حينَ أرْدَوْا بَغْـــيَـــهُ في غَـــضْـــبَـــة    أحْـــرقتْ سَـــورتُهـــا كُلَّ مَـــريد

مَـــزَّقـــوا أوْصَـــالَه في عَـــزْمَـــةً    ذكَّـــرتْناَ بمَضـــاَء ابْن الولَـــيـــد

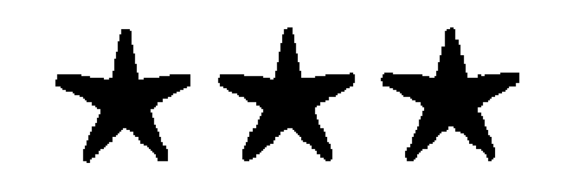
عَـــزْمَـــة صـــارَتْ على الدَّهْر سَنىً    ومَنارات لتَـــمْـــزيق الجُـــمُـــود

أسْنَدَتْهـــا صَـــرخـــةُ الأحْـــرَار في    مَـغْـرب الأرض وفي الشَّرق المَجـيـد

أيَدوا الحُـــريَّةَ السَّـــمْـــحَـــةَ إذْ    أيَّدُوا الأحْـــرارَ في الرَّأي السَّـــديد

أيّدُوهُـــمْ بـفـــعَـــال حُـــرّةٍ    وبقَـــول واضح غَـــيْـــر رَديد

هكـذا الأحْـــرارُ في أفـــعَـــالهِـمْ    هكـذا الأحْـرارُ عُـشّـاقُ الصُّـعُـود



# جبل طارق

صَــرْحٌ مَــدَى الأزْمــانِ نَاطِقْ ... يَرْوِي أقَــاصِــيصَ البَــوَاشِقْ
يَرْوِي أقَــاصِــيصَ العُــلاَ ... والمَجْــــدِ مِــنْ أيَّامِ طَـارِقْ
ويُحــدِّثُ التَّــاريخُ فــي ... صُــحُفٍ مُطَهَّــرةٍ نَـوَاطِقْ
صُــحُفٍ تَشَــامَخَ مَــجْـدُهَا ... فَــتَـعَـطَّرتْ زُهْـرَ المَنَـاطِقْ
وَبَـدَتْ تُـعَـطِّـرُ بِـالشَّــذَا ... بِــيضَ المَـرَابِـعِ والمَـرَافِـقْ

شَــهِــدَ البُطُولَةَ ذلكَ الجَــبَلُ الأشَمُّ . . . . رَأى الحَــقَــائِقْ
فَــمَــضَى يُمَــجِّــدُ بِاللِّســانِ الطَّلْقِ أحْــدَاثاً شَــوَائِقْ
ويُسَــجِّلُ الدُّرَرَ الخَــوَالِدَ في سِــجِــلاَّتٍ صَــوَادِقْ
شَــهِــدَتْ ذُرَاهُ طَلائِعَ الجُلَّى وأعْــلامَ الفَــيَــالِقْ
وبِدَايَةَ الفَــتْحِ المُبِينِ ومَــوْكِــبــاً في الدَّهْرِ بَاسِقْ

***

يا شَــامِــخــاً في الأفْقِ حَــدِّ ... ثْ فَــالحَــدِيثُ العَــذْبُ رَائِقْ
حَــدِّثْ عَنِ الأبْطَالِ لِلأجْــيَـــالِ والعُــصُــرِ اللَّواحِقْ
حَــدِّثْ ولاَ تَبْــخَلْ فَــقَــدْ ... حَــدَّثْتَ أجْــيَــالاً سَــوَابِقْ
حَــدِّثْ عَنِ السُّــفُنِ المَوَاخِــرِ وَهْيَ تَقْــتَــحِمُ المَغَــالِقْ
وَتَمِيسُ فَــوْقَ المَاءِ تِيــ ... ـهاً والخُلُودُ لَهــاَ مُــرَافِقْ
تَشْــتَــاقُ أنْدَلُسُ الجَــمِــيلَةُ شَــوْقَ مَــعْــشُــوقٍ لِعَــاشِقْ
وَبُطُولَةُ ابْنِ زِيَادٍ تُلْهِبُ فِي الجُــنُــودِ قُــــوًى بَــوَاسِقْ
يُذْكِي النُّفُــوسَ بِخُطْبَــةٍ ... شَــمَّــاءَ حَطَّمَتِ العَــوَائِقْ

قَدْ أحْرَقَ السُّفُنَ المُنيعَةَ وَانْبَرَى فِي الجُنْدِ نَاطِقْ

فـي قَولِه فَصْلُ الخطا ... ب لِعَسْكَرٍ يَهْوَى الشَّواهِقْ

إنَّ العَدُوَّ أمَامَكُمْ ... مُتَتَرَبِّص بكُمُ المَآزِقْ

والبَحْرُ صَارَ وَرَاءَكُمْ ... والبَحْرُ صَخَّابٌ ودافِقْ

هَيَّا فلَيْسَ لَكُمْ سِوى ... الصَّبْرِ الجَميلِ عَلى الضَّوائِقْ

وأنا أقُودُ الصَّفَّ لا ... أخْشَى النَّوازِلَ والخَوارِقْ

فانْقَضَّ جُنْدُ الغالِبِيـ ... ـنَ عَلَى الجَحافِلِ كالصَّواعِقْ

وغَدا الخَصِيمُ مُمَزَّقاً ... رَغْمَ التَّحَصُّنِ في الخَنادِقْ

وإذا بِصَخْرَةِ طارِق ... تَزْهُو بِرايات خَوافِقْ

وإذا بِطارِق خالِدٌ ... مُتَلألِئٌ في كُلِّ خافِقْ

يا صَخْرَةَ الفَتْحِ المُبِين ... لَقَدْ أتَيْتُ مِنَ المَشارِقْ

فِي قَلْبِيَ الخَفَّاقِ حُبٌّ لِلْحِمَى وهَوى مُعانِقْ

# الشَّبابُ بينَ الأزْهارِ.... والإنسان

رأيتُها سَحَراً في الرَّوضِ عَاطِرةً

تُسَبِّحُ اللّهَ بَينَ الماءِ والشَّجَرِ

توزِّعُ العِطْرَ لا تَرجُو مُكافَأةً

ولا ثناءَ لِما صَاغتْ مِنْ الدُّرَرِ

وَجِئتُها بَعدَ أيَّامٍ فَلَمْ أرَها

وما شَمَمتُ أريجَ الزَّهرِ في السَّحَرِ

فَقالَ لِي هَاتفٌ لمْ أدرِ مَصْدَرَهُ

مَهْلاً فسَوفَ تَرى الأزهارَ في سَمَرِ

شَبابُها سَوفَ يَلقَى النُّورَ ثَانيةً

وَيَمْلأُ الأُفْقَ بالأشْذاءِ فَانتظِرِ

أمَّا شَبابُ بَني الإنْسَانِ إنْ ذَهَبَتْ

أيامُهُ فَهْوَ في خُسْرٍ وفي هَدَرِ

# مختارات من كتابات النقاد حول أدب فاضل خلف

# مقالة للدكتور سليمان الشطي(*):

(كتابنا الذي نقف معه اليوم قد يذهلنا بعض الشيء وقد يزداد ذهولنا إذا تكشفت لنا بعض الأمور الأولى على الرغم من أن المؤلف ليس غريبا علينا فهو الأديب فاضل خلف وهو غني عن التعريف .

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة قصص قصيرة ، والغرابة تأتي من أنه قد أصدره قبل أربعة عشرة سنة تقريبا فهو في هذا يشير بأصبع حادة إلى أن القصة في الكويت قد بدأت طلائعها منذ زمن ليس بالقصير ، وبالتالي يضعنا أمام مسؤوليتنا التي فرطنا فيها ولم نسر في الدرب إلا بخطوات واهية مشلولة . . . إذاً فهذا كتاب جدير بالمناقشة بل إنه صورة أدبية لفترة تلاشت ملامحها ، فلنسر مع الكتاب صفحة صفحة نقلبه مسرعين .

الكتاب يتصدره عنوان «أحلام الشباب» وسنترك مناقشة العنوان إلى ما بعد التعرف على الكتاب . وبين دفتيه وعبر صفحات تنيف على المائة بقليل ، تنحصر ثماني عشرة قصة منها المؤلف والمترجم والمقتبس . وتمر أمامنا العناوين . . حنان أم . . عودة البطل . . البعث . . حضرة المدير . . خطوات في الليل ، وعلى هذا المنوال تتجه هذه العناوين وتختلف القصص طولاً ، فبعضها يكاد يكون خاطرة صحفية لبست رداء قصة . . كقصة «في سكون الليل» وهذه القصة هي أول أقصوصة أذيعت للمؤلف من راديو لندن في مسابقة قصصية ، وبجانب هذا ، القصص التي يمكن أن تكون قصة متكاملة لو استطاع المؤلف أن يملك ناحية الفن القصصي .

ونعود مرة أخرى لنقف مع العنوان ، ولعل من الطريف أن هذا العنوان غير وارد على إحدى القصص كما هي العادة ، وليس هذا بخارج عن المألوف ،

---

(*) نشر المقال في مجلة الأديب البيروتية ١٩٦٩ (نقلنا المقال عن كتاب أدباء الكويت في قرنين لخالد سعود الزيد ج٣ ص ١٨٤ ـ ١٨٥) .

ولكنك لا تستطيع أن تربط بين العنوان وبين هذه المجموعة اللهم إلا إذا رأيت أن أحلام المؤلف نفسه وآماله في الإصلاح هي التي كانت ترفل بالشباب والحيوية ، فهي أحلام شاب يسعى إلى الإصلاح . . . ويشدنا العنوان أيضا إلى أن نتذكر الرومنتيكيين العرب الذين سطع نجمهم في تلك الفترة التي كان المؤلف يكوّن شخصيته فيها من أمثال الشابي وناجي وغيرهما . . وعندما نتجاوز العنوان قليلا لنفحص هذه المجموعة التي تجعلنا نحمد هذه الريادة التي بدأها الأستاذ فاضل . . فنستعرض من العناوين مثل : «سر المطلقة» ، «من وراء حجاب» ، «الزوجان السعيدان» ، إن نظرة فاحصة إليها تشدنا إلى الواقعية الإصلاحية . . أما القصص المترجمة فتقودنا إلى اتجاه آخر يدل على ذوق المؤلف ، فهي بين قصة فيها لمسات الطبيعيين وأصابع كتاب القصص البوليسية .

هذا الخليط والتنوع في مجموعة واحدة من القصص على أي شيء يدلنا؟ ومن ناحية أخرى كيف نحدد شخصية المؤلف الذي يعنون وهو حالم ، ويكتب وهو يعايش الواقع ، ويترجم فينحو نحو اتجاهات أخرى؟ . . . إن محاولة التفسير محاولة جميلة وطريفة نستطيع من خلالها أن نعرف جيلا كاملا من المثقفين الكويتيين . الذين عاشوا في الأربعينات وأوائل الخمسينات من هذا القرن ، بل إنها تفسر لنا من ناحية أخرى كيف يستقبل مثقفو الدول النامية الثقافات التي تبلورت في عشرات السنين ، يستقبلونها في حيز زمني واحد . . إن في متابعة هذا الأمر طرافة ، ولنحاول أن نقول رأيا في هذا الأمر ، متخذين مؤلف كتاب اليوم شاهدا ومنطلقا . . .

«فاضل خلف» كان يعيش عصره كما يجب أن يعيشه الأديب المخلص ، فهو يقرأ الأدب الغربي ، فتشده اللمسات الرومنتيكية منه والتي حطمت التقاليد . . وهو من ناحية أخرى ينظر إلى مجتمعه فيسعى إلى الإصلاح ويقرأ الإنتاج العالمي الحديث فيعجبه التحليل والتفسير للظواهر الشاذة ليعيش كل هذا في لحظة واحدة . . وقد اخترت مناقشة هذه القصص على ضوء الواقعية ، لأنها أبرز صفة في هذه المجموعة ، والذي لاحظته حين قرأت هذه المجموعة أن الحوادث التي اختارها لتكون عنصر الحادثة في مجموعته كلها ، تعالج مشاكل اجتماعية

بعضها اختفى تقريبا وبعضها لايزال يضع العقبات والعراقيل . . . وملاحظة أخرى خرجت بها وهي أن المؤلف لا يهتم بتعميق اللحظة بقدر اهتمامه بسرد الحوادث كما هي ، ولنأخذ مثلا القصة الأولى ، وملخصها أن امرأة تسام الخسف وتنال العذاب من أم زوجها ، كما تحظى بالإهمال من زوجها حتى أصبحت حياتها جحيما ، وقد منعوها من زيارة بيت والدها ، حتى إنها في يوم زفاف أخيها تمنع من الخروج ولكنها تتمرد وتخرج ويكون الطلاق . ثم تتزوج رجلا آخر وتعيش سعيدة معه ، ولكنها كانت محرومة من ولدها فأخذت تمر أمام منزل زوجها السابق ، لترى ابنها ولكنه يهرب منها ، لأنهم عودوه على كرهها . .

من هذا عرفنا الموضوع العام وهو على هذه الطريقة ، لا يمكن أن يكون موضوعا قصصيا . أما العلاج فيدل على أن الأستاذ فاضل حاول مخلصاً أن يصور لنا الظلم والحسرة والعذاب ـ ومع حرصه على أن تكون القصة معبرة عن ذاتها ـ نجده يطل علينا بكلمات يحثنا فيها على أن نشعر بالمأساة . مثلا تقول بطلة القصة فاطمة لجارة لها «لقد صيروني آلة صماء في أيديهم ، أعمل من الصباح إلى المساء ، بل وإلى منتصف الليل أحيانا ، وهم يتفرجون على مأساتي ، ويضحكون مني ، والويل لي إن خانني التوفيق يوما ما ، فإنني أحرم من القوت» .

هذا السرد الذي يحاول المؤلف أن يعرض فيه المأساة سرد ضعيف بعيد كل البعد عن الطاقة المحركة في القصة ، ومن ناحية أخرى نلاحظ المؤلف تأخذه البلاغة العربية فيحشد في العبارة تلك التشبيهات الخاصة ، لنقرأ هذه العبارة ـ «ولكن الابن النزق ما كاد يراها حتى فر من أمامها كما يفر الحمل من الذئب ، أسرع إلى المنزل وأغلق الباب خلفه بعنف ، وترك أمه يذوب قلبها كما يذوب السمن على النار» .

ومن القصص التي تدعو إلى الإصلاح القصة التي نشرها بعنوان «حضرة المدير» فهي تصور حياة موظف نشيط كفء ، ولكنه لا يحمل شهادة ، فيطرد من عمله ليحل محله متعلم يحمل شهادة . ومشكلة الشهادة لا نزال نعيشها إلى

الآن وقد نظل نعيشها لسنوات أخرى .

ويبرز النقد الاجتماعي فيها بصراحة ووضوح ، فنراه يتحدث عن المدير الذي أضاع الوقت بالحديث قائلاً : «وينهال على المدير لأنه صرف ساعتين من عمله في كلام سخيف ، بينما كان عليه أن ينفق تينك الساعتين في محلهما» . ونراه يتدخل ككاتب بذوقه قائلاً : «وينظر في الرفوف ويطيل الوقوف أمام الكتب الجديدة . إن الكتب جميعها مفيدة حقا ولكن كل كتاب يختلف عن الآخر» .

وعلى هذا النهج يسير الكاتب في قصصه . ونحن في ختام الحديث نحمد له هذه الريادة بل نسأل يا ترى لماذا توقف خلف عن كتابة القصة؟ .

# دراسة الدكتور إبراهيم غلوم(*)

## ملامح واقعية من النقد والتحليل

فاضل خلف
علـي سيـار

يصطفي كاتب القصة الواقعية القصيرة مشكلته ، ويختار مواقفها ليجسد بها واقعاً مستلباً ، أي أنه لا يريد من شخصياته أن تكون نموذجاً لذواتها ، بل إنه يريد منها أن تكون نموذجاً ماثلاً للظاهرة أو المشكلة . فالظاهرة هي مناط الاختيار والرصد ، حيث ينصب اهتمامه الفني لها فتأتي أدواته في اللغة ، والحوار ، واستبار الحدث في موضعها ومجراها الطبيعي من غير أن يسبغ عليها جوانب من المبالغة ، أو العاطفة المؤثرة .

ولا شك أن ذلك يعتبر بادرة متقدمة في نشأة ونمو تقاليد فن القصة القصيرة في الخليج العربي ، وجدت المجال في بروز سماتها مِنْ توجه بعض الكتاب إلى

---

(*) من كتاب (القصة القصيرة في الخليج العربي) .

صياغة الجوانب الحيوية في الصراع الاجتماعي ، ومن أمثلة تلك الجوانب التفاتهم إلى نقد المظاهر الزائفة في بعض الشرائح الاجتماعية التي بدأت تحقق صعودها مع قلق التطور الاجتماعي .

ومن القصص التي تحقق لنا سمات هذا التوجه ، قصة «حضرة المدير» لفاضل خلف فهي تنتقد أسلوباً من أساليب البرجوازية في مجال الإدارة التي تنحو إلى التحكم الجائر في سبيل إصلاح وضعها البيروقراطي ، وإن جاء ذلك على حساب من هم دونها في المرتبة الاجتماعية . ويعد ذلك من ردود فعل التغير الاجتماعي بعد النفط ، الذي أدى إلى قيام الشركات والتنظيمات الإدارية والمكتبية .

لقد أصبحت العلاقات الاجتماعية مشوبة بكثير من مظاهر القلق ، وتحاول هذه القصة أن ترصد الجوانب الخلفية لذلك ، فقد استدعى مدير الدائرة الموظف «عبدالعزيز» المعروف بإخلاصه الشديد في العمل وقال له :

ـ إنني دعوتك يا عبدالعزيز في أمر يتعلق بوظيفتك . . .

ولكنه لا يتم عبارته ، حيث يقطع عليهما الحديث زائر يدخل على المدير ، فيضطر إلى تأجيل الأمر المهم ويخرج عبدالعزيز لينتظر خروج الزائر على أحر من الجمر ، ويقع في حالة نفسية مضنية ، فهل هو يريد ترقيته؟ أم لا؟ ويظل يمني نفسه بمعرفة ما يريده المدير حتى يتمنى لو أنه اقتحم الباب على الزائر الذي حرمه من أمتع اللحظات الفاصلة في حياته ، وبعد انتظار مرير تنتهي ساعات الدوام ، ويستبشر عبدالعزيز بابتسامة المدير وهو يودعه ، ويوقن أن الاستدعاء لم يكن إلا من أجل ترقيته . وتظل هذه الفكرة تداعبه وهو في طريقه إلى السوق وحين يذهب إلى البيت تتراءى له في النوم ، حتى يأتي الصباح فيذهب لينتظر استدعاء المدير له ثانية . ولكنه عندما يدخل عليه يفاجأ مفاجأة شديدة فقد طلب منه أن ينسحب من وظيفته ويتركها لموظف جديد لديه شهادة علمية ، كي يعمل هو في وظيفة أقل درجة ، ويرتاع عبدالعزيز لذلك كثيراً ويحاول أن يثني المدير عن عزمه ، فلديه خبرة السنوات الطويلة وصاحب الشهادة جديد على العمل ، ولكن المدير يصارح عبدالعزيز بأنه يفضل صاحب الشهادة عليه ، فيثور الموظف

المسكين ، ويرتفع صوته غاضباً ويطلب من المدير أن يطلعه على شهاداته ما دام قد فضل عليه غيره لمجرد أن لديه شهادة ، وهنا يضطرب المدير ويتلعثم إذ إنه مدير الدائرة حقاً ولكن ليس لديه شهادة علمية .

إن الجوانب الواقعية في هذه القصة أكثر وضوحا من غيرها عند فاضل خلف ، فهو يسجل فيها موقفه إزاء مشكلة من مشاكل التغير التي تأتي على صغار الموظفين ، كما يكشف عما تستند إليه البرجوازية الكبيرة من تبرير لسلطتها ، فقد رأينا مدير الدائرة يستغني عن أكثر الموظفين إخلاصا وخبرة ويطلب منه أن يتنحى عن منصبه من أجل موظف آخر يحمل شهادة علمية ، وهذا التصرف يدل على أنه كان يبتغي المصلحة الخاصة ، وكأنه أراد أن يجعل لوظائف الدائرة واجهة شرفية بهذه الشهادة التي احتمى بها في تنحية عبدالعزيز ، ويتناسى أنه يستحوذ على أكبر مناصب الدائرة وقمتها من غير أن تكون لديه شهادة علمية ، ويسفر الموقف الأخير عن أكثر من زاوية في الرؤية الواقعية للكاتب إذ يقول المدير لعبدالعزيز :

«قلت لك إنني مكتوف اليدين ولا أستطيع أن أعمل شيئا أبدا لأن الأمر خرج من يدي الآن وسيستلم السيد وديع عمله في هذا المساء . . فقال عبدالعزيز : ولكن يا حضرة المدير هذا ظلم عظيم ، وكيف تسوغ لك نفسك أن تكون ظالما وتسلبني حقوقي ، إن يد الله فوق الجميع . . وكل ظالم سيبلوه الله بمن هو أكثر قوة منه فقال المدير : إنني لا أفهم ما تقوله يا عبد العزيز وخذها كلمة صريحة . . أنت لا تحمل شهادة وهو يحمل شهادة وعندها ثارت الحمية والنخوة في رأس عبدالعزيز وصاح بصوت سمعه أكثر الموظفين . .

اسمع يا حضرة المدير إنك تتكلم عن الشهادات فلماذا لا تبرز أنت شهادتك لنراها . . أجل أين شهادتك أنت؟ أنت أنت يا مدير الإدارة أنت يا من تتشدق بالشهادات ، إنني أعرف قصدك تماما .

فاضطرب المدير وقال : أنا . . أنا شهادتي أنا . . ماذا تقول أمامي . . شهادتي أنا . . إنني مدير . . ولا يحق لك . .

لقد فكر حضرة المدير في كل شيء إلا في هذا الأمر . . أجل فكر في كل شيء

إلا في هذا الأمر»[٢١] .

بهـــذا الموقـف المحتـدم بالمواجـهـة ينهـي الكاتـب القـصـة ، وقـد اكتـسب أسلوب الكاتب بما في هذا الموقف من مفارقة سخرية لاذعة ورافضة في آن واحد لمنطق «المدير» .

إن موقف الكاتب يقوم على تعرية أسلوب البرجوازية عندما تستأثر بسلطة ما . وقد دفع الكاتب إلى ذلك ما كان يلحق بمجتمعه من أضرار التغير الذي تتلاحق مظاهره بسرعة ، ولعل في منطق المدير جانبا مما جلب إليه ذلك التغير الذي أفسح مكانا كبيرا لكثير من عناصر البرجوازية كي تؤسس لها مواقع متقدمة ، ومتضخمة بامتيازاتها الاجتماعية من غير أن تحقق لها كفاءة حقيقية على المستوى الاجتماعي والعلمي .

والكاتب بعد ذلك يسوق شخصيته الأساسية في القصة «عبدالعزيز» نحو موقفه الاحتجاجي في مواجهة ظلم المدير وتعنته ، بعد أن أشبع هذه الشخصية بالتحليل ، والاستجلاء النفسي الذي يكشف عن مقدرة الكاتب في سرد الحركة الذهنية ، وتداعياتها المنبثقة من أكثر حالاتها حرجا وقلقا ، في الوقت الذي يحافظ محافظة شديدة على أن يكون وراء تلك الحركة سياق قصصي متوهج مثير بالترقب والمعرفة والكشف ، فهو يبدأ القصة باستدعاء المدير لعبدالعزيز في أمر مهم يتعلق بوظيفته ولكنه يقطع الحديث دفعة واحدة بدخول الزائر ويترك لنا شخصيته في حالتها النفسية التالية :

«ولكن يا ترى ماذا يرمي من وراء هذه الكلمات؟ وماذا كان يريد أن يقوله؟ إنه دعاه في أمر يتعلق بوظيفته ، فما هو ذلك الأمر لقد فكر طويلا ثم اهتدى إلى الأمر ، ألا يقصد المدير إنه سيرفعه إلى درجة أكثر من درجته؟ ألا يقصد أنه سيزيد مرتبه؟ ربما . . بل هو يقصد ذلك تماما . إنه يشتغل في هذه الوظيفة منذ بضع سنوات وقد أتقن عمله كل الإتقان ولا يذكر أنه تهاون قط في واجبه .

ولكنه ود من صميم فؤاده لو أن الزائر الثقيل خرج قبل انتهاء الدوام ليتمكن من الاتصال بالمدير ثانية . ليطلع على جلية الأمر ، وأخذ يردد النظر في ساعته تارة وفي ساعة الحائط تارة أخرى . وهو يتململ ، ويتأوه وينهض من مكانه

ليرى هل خرج الضيف الثقيل . وحدثته نفسه باقتحام غرفة المدير لينهال عليهما لوما وتقريعا . وينهال على الزائر لأنه حرمه من أمتع اللحظات الفاصلة في حياته ، وينهال على المدير لأنه صرف ساعتين من عمله في كلام سخيف . بينما كان عليه أن ينفق تينك الساعتين في محلهما ، وأخيرا دق الجرس المنبه معلنا انتهاء الدوام ، فخابت أمانيه وتحطمت آماله ، ووقف مدة من الزمن لا يدري ماذا يفعل[٢٢] .

إن هذا الاهتمام بالأعماق النفسية لشخصية القصة من أكثر ما يميز القصة الواقعية القصيرة في هذه الفترة . فنحن لم نألف مثل هذه اللغة التي تدور حول شتى الأفكار المتضاربة داخل ذهن الشخصية في أقصر اللحظات الزمنية الممكنة التي تمر عليها . وهي لغة يؤسسها فاضل خلف ويتمكن من تأصيلها . . والتأثير على عدد من كتاب القصة الذين عايشوا تجربته . وآية ذلك أننا نجد نفس المدير الذي سخر منه فاضل خلف . في قصة للكاتب علي سيار بعنوان «دموع العيد»[٢٣] ولكنه هنا يمارس سلطته بصورة أكثر فظاظة وإجحافا بمن هم دونه في المرتبة الاجتماعية ، ويصور الكاتب ذلك من خلال شخصية أب فقير معدم لديه أربعة من الأولاد ، وهو مقبل على العيد وعليه أن يلبي احتياجاتهم من الملابس الجديدة كغيره من الناس . إنه لا يستطيع أن يفعل شيئا لأولاده الذين يتباكون محرومين مما يتمتع به غيرهم بسبب استغلال رئيس العمل له ، فقد اشتغل طوال أربعين عاما قوست ظهره قبل الأوان . فلم يجد سوى التحقير والمعاملة السيئة .

ثم يتذكر فجأة ورقة خضراء وهي عبارة عن مائة روبية مزيفة أعطاه إياها رئيسه في العمل كي يشتري له بها فاكهة من السوق ولكنه لم يستطع أن يفعل ذلك لخوفه من اكتشاف زيفها (يذكرنا هذا الموقف الجانبي في القصة بالمدير في قصة فاضل خلف الذي دفع بموظفه ليكون ضحية لمصلحة أرادها ، كما أن رئيس العمل في قصة علي سيار يدفع به للمجازفة كي يكون ضحية لتحلله وزيفه) .

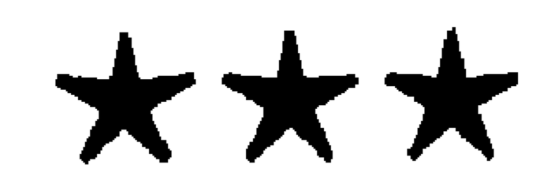
ولا يكاد يتذكر العملة المزيفة حتى يفكر في أن يفك بها أزمته وحرمانه فيخرج إلى الدكان الوحيد الذي ينتظر زبائن الليل . ولكنه لا يجد عند صاحبه نقودا كافية للبقية من مئة الروبية فيعتذر له ، وحين ترجع إليه الورقة ثانية يدخل إليه

شعور بالاطمئنان ويمضي متعللا بالصبر .

إن الجانب الأساس في واقعية هذه القصة يرتكز بالدرجة الأولى على نظرة الكاتب إلى صورة الاستغلال الاجتماعي الذي تتعرض له شخصيته الفقيرة ، إذ إنه ينتقد هذه الصورة الفاحشة المجحفة التي تتمثل في رئيس العمل ، بل إنه يجعل هذا الاستغلال في خضم دورانه مع النفسية المحبطة لشخصيته عاملا أساسيا دفع به إلى المجازفة بالعملة المزيفة في نهاية القصة .

وكما تدين هذه القصة أسلوب الاستغلال الاجتماعي تصور أيضا مظاهر الحرمان والاضطهاد الذي تعيشه الطبقة الفقيرة ، ويستهلك حياتها بسبب ما يستلبه الاستغلال من عمرها وطاقتها ، ولعل هذه الصورة هي التي أدخلت بعض المشاعر الرومانسية الحزينة المؤسية التي تتزاحم في نفس الشخصية وهي تعاين حرمانها وقلقها .

وأيا ما كان الأمر ، فإن هذه القصة مع قصة (حضرة المدير) ، لفاضل خلف تعدان بحق ، من القصص التي تبشر بميلاد الواقعية في القصة القصيرة ، فقد استأثر الكاتبان بأكثر الموضوعات اقترانا بهذه الواقعية ، كما استخدما كثيرا من وسائل الواقعية الفنية في اختيار لحظات القلق والحرج ، وفي إيثار التحليل النفسي الذي يهتم بالحركة الداخلية المضطربة التي تبرز التميز والحيوية في الموقف القصصي . وخلال كل ذلك يبدو الاهتمام بالتماسك الفني ، وبخاصة في سياقه الذي يستجمع أكبر قدر من القوة ، والكشف ، حين يعتمد سرد التفاصيل النفسية والاجتماعية الصغيرة ويركز على توظيفها دون كلل حتى نهاية القصة .



# من أعمال الدكتور فايز الداية

**الكتب :**

١ ـ الجوانب الدلالية في نقد الشعر في القرن الرابع الهجري ـ دار الملاّح ـ دمشق ١٩٧٨ .

٢ ـ جماليات الأسلوب (التركيب اللغوي)/ جامعة حلب ـ حلب ١٩٨١ .

٣ ـ علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق/ دار الفكر ـ دمشق ـ بيروت ط ١/ ١٩٨٥ ، ط ٢/ ١٩٩٦ .

٤ ـ جماليات الأسلوب (الصورة الفنية) ، دار الفكر دمشق ـ بيروت ط ١/ ١٩٩٠ ، ط٢/ ١٩٩٦ .

٥ ـ معجم المصطلحات العلمية العربية/ دار الفكر ، دمشق ـ بيروت/ ١٩٩٠ .

٦ ـ دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني ـ تحقيق بالمشاركة مع د . محمد رضوان الداية ـ ط ٢ ، دار سعد الدين ـ دمشق ١٩٨٧ .

٧ ـ تحرير التنبيه (معجم لغوي) للإمام النووي ـ تحقيق بالمشاركة مع د . محمد رضوان الداية ـ دار الفكر ـ دمشق/ بيروت ١٩٩٠ .

**بحوث ودراسات :**

* مرجعية القصيدة العربية في المشرق ـ ندوة أحمد العدواني ـ أبوظبي/ الكويت ـ مؤسسة البابطين ١٩٩٦ .

* دائرة البحر الدلالية في شعر خليفة الوقيّان/ البيان ـ الكويت (رابطة الأدباء) يناير ١٩٩٩ .

*التحدّي والانزلاق (دراسة في قصص سليمان الشطي)/ البيان ـ الكويت (رابطة الأدباء) فبراير ١٩٩٨ .

* الدوائر الدلالية في ديوان أبي فراس الحمداني/ ندوة أبي فراس الحمداني/ الجزائر ـ الكويت ٢٠٠٠ مؤسسة البابطين .

* السلسلة النقدية التطبيقية/ مجلة الكويت ـ مارس ١٩٩٩ ـ ديسمبر ٢٠٠١ .

# الفهـــرس

# صدر ضمن هذه السلسلة

**أولاً :**

ـ هدّامة (مجموعة قصصية)

**سليمان الخليفي**

ـ الحركة الفكرية والأدبية في الكويت

**د . محمد حسن عبدالله**

ـ الوحدة العربية والتحديات

**عبدالله إبراهيم**

ـ القُرب في فضل العرب

**زين العابدين عبدالرحيم بن الحسين (قدم له : أحمد السقاف)**

ـ تطور الوعي القومي في الكويت

**أحمد السقاف**

ـ الظاهرة القومية في الحضارة العربية

**محمد عمارة**

ـ العروبة والإسلام

**د . محمد أحمد خلف الله**

ـ أحمد العدواني (كتاب تذكاري)

**إعداد : د . سليمان الشطي وسليمان الخليفي**

**ثانيا**

١ ـ أدباء وأدبيات الكويت

ليلى محمد صالح

٢ ـ المسرح في الخليج

د . محمد حسن عبدالله

٣ ـ الدكتور عبدالله العتيبي

(كتاب تذكاري)

٤ ـ الأجنحة والشمس (دراسة تحليلية في القصة الكويتية)

د . نجمة إدريس

٥ ـ رسائل البشرى في السياحة بألمانيا وسويسرا في سنة ١٨٨٩م

حسن توفيق العدل/ دراسة وتحقيق د .محمد حسن عبدالعزيز

٦ ـ أربعة أصوات شعرية من الخليج والجزيرة

د . محمد حسن عبدالله

٧ ـ المغّيب والمجسّد : دراسة في قصص الدكتور سليمان الشطي

د . مصطفى الضبع

٨ ـ عبدالله سنان : مغني الشعب (حياته وشعره)

فاضل خلف

٩ ـ العرب وتأصيل المسرح

د . خالد عبداللطيف رمضان

١٠ ـ تجليات الأنا في شعر ابن الفارض

عباس يوسف الحداد

١١ ـ الدوائر والزوايا (قراءة في شعر أحمد السقاف)

د . مختار علي أبو غالي

١٢ ـ عبدالله خالد الحاتم : الصحفي ـ المؤرخ ـ الباحث

**خالد سالم محمد**

١٣ ـ الشيخ عبدالعزيز الرشيد (دوره في الحياة الأدبية والثقافية في الكويت)

**يعقوب يوسف الحجي**

١٤ ـ إسماعيل فهد إسماعيل : «ارتحالات كتابية»

**د . مرسل فالح العجمي**

١٥ ـ عبدالمحسن الرشيد : «الشاعر والشعرية»

**د . سالم عباس خدادة**

١٦ ـ مفردات التكوين في شعر محمد أحمد المشاري ـ دراسة فنية

**د . نسيمة راشد الغيث**

١٧ ـ علي السبتي : شاعر في الهواء الطلق

**إسماعيل فهد إسماعيل**

١٨ ـ عبد الرزاق البصير : حياته وأدبه

**د . عبدالله القتم**

١٩ ـ فاضل خلف : هاجس الريادة والحقول المفتوحة

**د . فايز الداية**

